محمد الدواخلى
فان فيكشن عن عالم هاري بوتر
رواية
سيرة أسير
الصفحات المفقودة من تاريخ هجوورتس
دار روح منشورة
للنشر الإلكتروني

نوع العمل: رواية

اسم العمل: سيرة أسير

اسم المؤلف: محمد الدواخلى

الناشر: حروف منثورة للنشر الإليكترونى

الطبعة: الأولى أغسطس 2016

تصميم الغلاف: مروان محمد

تفضلوا بزيارة موقعنا حروف منثورة للنشر الإليكترونى من خلال الضغط على الرابط التالى:

http://herufmansoura2011.wix.com/ebook

كما يمكنكم متابعتنا من خلال صفحتنا الرسمية على الفيس بوك من خلال الضغط على الرابط التالى:

http://facebook.com/herufmansoura

كما يمكنكم مراسلاتنا بأعمالكم و مقترحاتكم على الإيميل التالى:

Herufmansoura2011@gmail.com

دار حروف منثورة هي دار نشر إلكترونية لخدمات النشر الالكتروني ولا تتحمل أي مسئولية تجاه المحتوى الذي يتحمل مسئوليته الكاتب وحده فقط وله حق استغلاله كيفما يشاء

رواية

سيرة أسير

الصفحات المفقودة من تاريخ هجوورتس

فان فيكشن عن عالم هاري بوتر بقلم

محمد الدواخلي

تنويه

هذا العمل للتوزيع الالكتروني المجاني فقط ولا يجوز استخدامه في أي أغراض تجارية

القاهرة 1130م

يا لجمال بسمتك ولدي الحبيب.

أعلم أنك تكرهني أو ستكرهني لتركي لك مع أعمامك لن تكاد تذكرني ولن تعرف عن والدك الكثير, مهما حكى لك أعمامك فلن يخبروك بعشر حقيقة هذا الرجل العظيم, ليس ظلما منهم وإنما جهلا, فتلك السنوات التي مرت بسرعة البرق معي عرف فيها والدك عن نفسه أضعاف أضعاف ما كان يظنه في نفسه.

أنت ستكبر وسط العامة في عالم لا يعرف أسرارا كثيرة وخبايا وأماكن لا يستطيع أعمامك تصورها لكن والدك عاش فيها وغيرها.

لا استطيع حتى اليوم أن أذكر والدك أو اكتب عنه إلا ويغمرني البكاء.

لذا ستقرأ هذه الأوراق التي جمعتها من مذكراته ومذكراتي ورسائل سقطت في يدي عبر الزمن تجمع قليل من كثير من اسرار والدك. لا أقدر ان استرسل في الحديث كثيرا. ربما لا تصلك تلك الرسالة أبدا, سأترك نسخة منها مع شقيقك لعله

يصل إليك يوما. فقط اعلم أنني آتي لرؤيتك ورؤية ابتسامتك أكثر بكثير مما تتصور لكن أعمامك لن يسعدوا كثيرا بهذا. نعم أخشاهم ولن تعرف لماذا مهما فعلت لأنهم حقا أناس طيبون لكنهم من عالم غير عالمي ولا يفهمونه.

أمك المحبة دوما ليلى

****

الشام- عكا- مشفى عكا 1075م

نظر الحكيم ممتنا لهذا الشيخ العجوز, الكلمات لا تكفي شكرا -مولانا, جزاك الله خيرا, لكأن المعجزات تجري على يديك. مر ما شئت فوالله لو طلبت روحي أجرا لأعطيتها لك.

ابتسم هذا الشيخ الغامض وقال: لا تعرض هذا الثمن مرة أخرى, البعض لا يفهمه ويثمنه بغير ما نقصد!

كالعادة حيره بكلمات غير مفهومة, تتنازع الشائعات أمر هذا المنقذ الغامض الذي أنجد المدينة بعدما أعجز طاعونها الحكماء. البعض يقول ولي والبعض يقول مآخ للجن. والهذر كثير. لكن لا يقلقه سوى شيء واحد, كم تتطول وقفته على رأس سرير هذا الغلام سهم ابن عامر البناء يفكر لساعات.

ولكن السميائي لم يكن يلقي بالا للاشاعات ولا لحيرة الحكيم. فقط العلامات هي ما تثير فزعه

مبتسم؟

يا لهذا الغلام!

ويا لهول ما سيرى!

هناك أشخاص تعرفهم من دون تعارف, علاماتهم ظاهرة ووجوههم منذرة. لا تصدق كل العلامات والنذر ولكن من خبر من الحياة عجيبها وضجيجها وخبر مما وراء الحياة الظاهرة اسرارها واهوالها تستطيع تمييز الغث من السمين وتجد في داخلك بصيرة تبصرك بينما عيونك غير مبصرة.

حين يمضي الموت آكلا ما ربت السنوات وما احتضن البخلاء وما نظمه العقلاء يبدو كل شيء كالبخر تراه وتحسه لكن لا ملمس ولا حقيقة!

يا لهذا الغلام ويا لبسمته!

كم مضى علي في هذه الحرفة؟ عقود! كم مضى علي من بشر؟ ألوف! فقط قلة توقفني وتترك بصمتها في قلبي, وهذا الغلام كذلك! أراه في محنته مبتسما غير عالم أنه سينجو منها بإذن الله, وأرى في نعمته أهوالا لن ينجو منها بقدر الله!

أدس في قلب الحجر ماءا واستخلص الاكسير, كم هلك امامي من مرضى ومتعبين, ولم أمس حجري أبدا. لم أكشف سري أبدا, لكن هذا الغلام مقدر له أن يعيش, مقدر لي أن أنبذه, ومن أمر الله أن يطلع وحده على حجري.

كنا في أيام منعمة, استشعر هولا قادما لكن ربما ليس في حياتي. منذ اتممت في كهفي عامي الخمسون وقد أخذت على عاتقي ألا أبقى في أرض واحدة أكثر من شهر, مهما ضايفني الملوك والامراء والخلفاء. لكن ضيافة هذا الوباء البلاء استطالت وقيدتني, فما يكون لي أن أخالف أمر الرسول وأخرج من أرض ابتلي أهلها بالطاعون. ولكنها الرحمة أن آتي بأدويتي وعلاجاتي اطبب المساكين. وقدر مكتوب أن ألقى شخص اجتمعت له علامتي هلاك!

حين رأيت يده ورسوم كفه بهت!

كانت نفسي تدور في دوامات وذكريات

آآآه! كم أتمنى يا صديقي جريجوري لو كنت حيا ورأيت ما أرى! لجن عقلك وشددت الرحال بحثا عن هذا الفتى الذي افنيت عمرك تبحث عن مثله وألقاه القدر بين يدي! فتى مرصود له أحد الأبواب الثلاثة عشر! فتى قادر على رؤية ما لا يرى إلا من حيث لا نحتسب! فتى لا يحتاج لتمائمك وابخرتك ومحاليلك كي يستطيع معرفة ما عرفناه!

لكنك يا عزيزي جريجوري مت وكنت أنا قاتلك!

ثم حين اضطربت الأرض وارتج العالم من حولي

حين ابتسم الغلام!

ألا سحقا لكل مفاجأة تبهرني! أبعد صاحب الرصد أرى له نابا أزرق!!!!

من بين كل البشر أجد بين يدي شخص مرصود له أحد الأبواب الثلاثة عشر وذو ناب أزرق!

ارتعشت يدي وسقطت المخاليط منها!

ما يكون لهذا أن يموت بسبب الطاعون أبدا!

سيعيش طويلا!

لكن يجب أن أشفيه بأمر الله, مرضه المميت سيزيده قوة وينهك من حوله. مثل هذا الفتى يجب أن يطبب قبل غيره وإلا أهلك من حوله!

حجري العزيز الغالي يهون في مثل هذا الموقف.

ربما لن أستطيع أن أصنع مثله ثانية, فالمعرفة جزء من الصنعة. لكن بذل جزء منه لمثل هذا العزيز المشئوم لهو تضحية هينة.

أيا فتى يا من أسموك سهما.

سأنقذك من مرضك. ولكن

لأي قوس وفي أي هدف أعددت يا سهم؟

ضيعة آل بيور- ويستكوس- انجلترا 1070

عزيزي العطوف تيمور

اكتب اليك رسالتي وأنا اعلم ما فيها من مخاطر

لو وقعت في يد جاهلة فستعني هلاكي أو هلاكك. ولو وصلتك فستجلب علي غضبك وانتقامك.

لكنك صديقي القديم, رفيقي في البحث عن الابواب الثلاثة عشر وشريكي في تمحيص أساطير الناب الأزرق.

لذا سأتجاهل للحظة ما بيننا من ثأر أعلم أنك لن تتجاهله. لم يبق في عمري الكثير كي أخشى حكم الموت الذي حكمت به علي, ذات يوم كان كلانا جبارا مهابا يمتلك قوى ترتجف لها الأرض لكني مثلك حتما أصبحت عجوزا مسكينا كسرته السنون.

اتذكر حين كنا نسعى لصنع تعويذة تهلك قرية بأكملها؟! لحظة الجنون التي وصلنا فيها لقمة قوتنا وفجرنا؟ حتما تذكرها فهي ما فرقت بينن وحولتني مجرما وحولتك ل... ماذا كنت تسميها؟ هامّة؟ أليس كذلك؟ ذلك الطائر الذي لا يرتوي إلا من دماء القاتل.

حسنا تستطيع بسهولة صنع حجاب تتبع تعرف به مكاني وترسل لي أحد رسل موتك

لكن بالنسبة لي هذا زمان مضى وانتهى, آخر تعويذة صنعتها كانت منذ سنوات ولاقناع فتاة مسكينة بالزواج من رجل غني عجوز كي تساعدني على رعاية أحفادي.

ما هي أحوالي؟ ولم أرسل لك رسالتي التي هي حكم بالسيف على رأسي؟

سأحكي لك قصة طويلة, عن السير بيتريوس وهوفارس شجاع في البلد التي أعيش بها. شاب قبيح الوجه حتى اسموه رافن أي غراب أسود خدم اللورد بيور الذي أعيش في ضيعته. الفتى كان شجاعا مقاتلا, وسيده كان ماكر وحكيم. ورطه سيده في الزواج من نبيلة ايطالية شقيقة لرجل مهم في روما. ورطة كانت ابنتي الكبرى إلينا سببا فيها, اتذكرها؟ كنت تقرأ كفها وهي رضيعة وتقول أن علامات الضعف والعاطفة فيها. تحذرني أن أرعاها كي لا يسقطها قلبها الجامح في الفخاخ. لكن ما لم تعرفه أنها ورثت مني اللؤم والمكر. وورثت أيضا من أمها كتاب للوصفات والطهي لم انتبه لما في هوامشه من وصفات

لايقاع من تريد في الحب. أرادت الفتاة الساذجة أن توقع بيتريوس في حبها لكها عكست الوصفة فأسقطت النبيلة الايطالية في حب بيتريوس!

المسكين عاش معها حتى دبرخصوم شقيقها لها تهمة السحر فأحرقوها. ستندهش من عدد الابرياء الذين احرقوا في بلدة صغيرة بينما ساحر حقيقي جبار يعيش فيها بسلام كتاجر للخضر! تزوج بعدها ليرعى اطفاله من إلينا, لكن المرض (وأشك أنه السم) خطفها منا سريعا. كنت اتمنى لو ارسلت لك حينها لتنقذها حتى لو دفعت حياتي ثمنا لكني أعرف أنك ستحدثني عن مشيئة القدر وعدم معاندة الموت. حكمتك القاسية التي فشلت فيتعلمها عبر العقود.

لاختصر عليك فقد مات بيتريوس بعد أربع زيجات وأحد عشر طفلا. منهن ثلاثة توائم من صلب ابنتي. هن من أرسل لك لأجلهن

إني أرى علامات منذرة. لست في مثل قوتك في قراءة العلامات ولكن هذا يقلقني أكثر. هذا يعني أن العلاملات واضحة لدرجة مرعبة. هن حفيداتي لكني أخشاهن وأخشى على الناس منهن. اكتشفت أنهن عثرن على الباب المرصود

الذي اكتشفناه سويا لا أعرف كيف. يردن فتحه دون البحث عن المرصود له هذا الباب. سيجلبن إن فعلن شرا كثيرا, أنت تعرف كيف يفتح الباب بدون المرصود له, تضحية كبيرة بها دماء. هدية عزيزة للشياطين. نحن في أوروبا وسط حرب سحرية هائلة ربما وصلتك بعض أخبارها. الكل مشغول مع جريندل وسليذرين ولا ينته أحد لما يحدث في الجوار من علامات قدوم شر لا راد له!

****

دمشق 1070

عزيزي جريجوري العظيم

وصلتني رسالتك وقرأت علاماتك.

فأما بالنسبة لحفيداتك فسيوقفهن حفيدة أخرى

وأما للشر الآت فسيعم الأرض عوام وسحرة, ليس شرا واحدا بل أكثر من شر. لكنها تقلبات التاريخ تعلو وتطوي الشعوب.

وأما عن ثأري فما أن تختم هذه الرسالة فستكون قد نلته!

وداعا!

صديقك دوما: تيمور

****

في البحر 1099م

ابتسمت مشجعا الفتى الصغير محاولا تهدئة فزعه وإلهاءه عما أصابه وأصابني .

لكن القيء غلبني للمرة المائة واضطر البحار الغليظ لتقييدي على سطح السفينة رغم العاصفة المريعة بالخارج وأخذ يلهبني بسوطه حينما غلبني الدوار مرة أخرى وتناثر بعض ما في معدتي على ثيابه و أخذ يسبني ويلعنني (أيها الحقير هذا كل ما يأتينا منكم أيها العرب ال....) ثم خانته معرفته الضعيفة بالعربية فأكمل السباب بلغته الإفرنجية وبيده التي تحمل السوط.

لم أكن هكذا أبدا في حياتي

لولا هؤلاء الصليبيون

وتذكرت ذلك اليوم المشئوم

****

أتاني رسول من أحد السلاجقة يعيش قرب الرها بعد أن رأى إبداعي الكبير في قلعة الأمير ططش التي تحدث الناس

بقوتها وأنها تبز قلعة ألموت التي يسكن بها سفاحي النزارية في قوتها.

هكذا هو القدر, يأتيك الرعب في صورة مزخرفة بينما المباهج تتخفى أحيانا في صورة الأحزان!

حين هربت مع والدي مكن بطش الخليفة الفاطمي إلى الشام بدت لنا الأحزان تتوالى, فقدان الوطن والأرض والبعد عن الأهل ثم هذا الطاعون الذي نزل جوارنا وكدت أهلك فيه لولا أن أنقذني هذا السيميائي.

ولكن أتى هذا البلاء بخير ونعمة, ففي هذه المدينة المطعونة تعلمت على يد الأفضل لأبرع في فنون المعمار والهندسة وتزداد معارفي فيها حتى أزيد في الابتكار وأبرع أجل ما أبرع في تصميم الحصون والقلاع.

ورغم صغر سني اشتهرت بين الأمراء وطلبوني أزين لهم وأبني لأمجادهم المتصارعة.

ثم أتاني الشقاء في صورة النعمة!

كان الأمير شاه جي منافسا عنيدا لأمير الرها وأراد بناء قلعة حصينة تؤويه من شره فأرسل يبحث عن العمال المهرة والمعماريين الممتازين.

ورحلت لأقصى الشرق إلى الرها لأبني القلعة وكنت أفكر أنها قد تستخدم للحرب بين المسلمين فأحمل وزرا لا أطيقه ثم أقول بل هي على تخوم بلاد الأعداء وستكون جهادا. فهجمة الغوغاء على نيقية كانت منذ شهور قليلة فحسب.

انشغلت بجمع الأحجار والأموال! أخطط وأتفنن وآخذ مكافئات سخية على أفكاري. أنفق لملابسي الفاخرة بغير حساب وأضع من نفائس العطور التي أعدها بنفسي بعد أن تعلمتها على يد هذا السيميائي في طفولتي قبل أن أنزل وسط الكسر والتراب وأقف طوال النهار تحت الشمس الحارقة أرى بفخر جدراني تنتصب.

ثم أتى البلاء وانهارات الأوراق التي ظنناها سدودا!

الغوغاء الذين ضحكنا عليهم وتندرنا على مقتلتهم حين أتى ألب أرسلان بجيشه فنحرهم لم يكونوا سوى نذر المطر, العلامة الأولى في طريق رعب ودم وأهوال.

فها قد أتت جموع الصليبيين الحقيقيين المتوحشين يقتلون ويسفكون الدم بلا حساب

حتى النصارى الذين عاشوا معنا سنينا في أمان قتلوهم لأنهم لا يسمعون للحبر الأكبر في رومية.

سقطت الرها مع أميرها بسرعة البرق.

وصمدت قلعتي رغم أنني لم أتمم بناءها

حوصرنا زمنا ثم أرسلوا لنا بالأمان إن استسلمنا فنصحت الأمير بالرفض لكنه أذعن لهم.

واقتادونا جميعا لكبيرهم فأتى بكاهن كان قد زارنا أثناء حجه فإذا به يخرج القواد من الرجال ليصلبوا ويقتلوا أشنع قتلة بينما أمروا بذبح الباقين دون عذاب.

حق عليّ الهلاك وكذب هذا السيميائي الذي قال لي وهو يسقيني عصير ذاك الحجر الأسود أنني سأعيش طويلا بفضله.

سألته حينها أتعني لن أموت من الحمى؟

قال لي نعم سيشفيك من الحمى لكنه سيجعلك تعيش أطول.

كذب حتما فإني هالك.

وأتوا بي لأصلب ورأيت من قبلي يتلوون بالعذاب وامتلأ قلبي رعبا وتمنيت بشدة لو هلك هذا الكاهن الخائن لضيافتنا

فسأل أميرهم "من هذا ؟ هو ليس بأمير."

"إنه المعماري الذي بنى القلعة."

"إنه بارع اتركوه وأرسلوه إلى الحبر الأعظم في رومية فسينتفع به عبدا"

وهكذا اقتادوني مع النساء والأطفال وألقوا بي في مركب متهالك لتعبر البحر نحو البندقية. لم اعتد البحر ولم أركبه من قبل لذا كانت رحلتي عذابا مقيما.

في البداية تخصص في تعذيبي نائب القبطان الذي كان رجلا كريها يهوي اعتلاء صاري السفينة ويبدأ في سبي بأقذع السباب لكنه هلك فجأة إذ انكسر به الصاري ليهوي في البحر ودهش الرجال لهذا لأن الصاري كان جديدا كما يزعمون.

أما الآن فهناك حارس الأسرى الذي يكن لي كرها خاصا لأني شاب وحيد وسط مجموعه من النسوة والأطفال يحبسونني وحدي في مكان بعيد عنهم ويجب عليه السير عبر السفينة ليمر علي بعدهم.

لكن عذاب البحر انقضى وبدأ عذاب العبودية فها هي البندقية لاحت للسفينة.

****

البندقية 1099

أكانت رحلة البحر شاقة؟ لربما هي أهون علي مما تلاها من بلاءات! بلاءات أتت كما العادة في صورة فرج كاذب!

في ليل مظلم لا أفهم كيف رأى القبطان طريقه فيه, وبعد أيام في البرد والريح. ظهرت الأرض تقترب منا. بدت البيوت والقصور تلمع عن بعد وتكبر شيئا فشيئا. حياة العبودية تقترب أيها الأسير لتجبر على نحت أصنام الكفر بقية حياتك!

وصلنا أخيرا إلى البندقية تلك المدينة التي يسمونها فينسة وهي ميناء كان له شأن عظيم في تأليب أهل الفرنجة على المسلمين بغية السيطرة على تجارة الشرق.

كان المشهد في عيني هرجا! لكنه للبحارة بدا معتادا. ناس تنزل وآخرون يصعدون صناديق تلقى وحبال تربط وأخرى تحل. يمضون جميعا في وقت واحد في مكان واحد بلا نظام ولا اتجاه ولكنهم يتفادون بعضهم البعض بيسر كأنما هم في سفح جبل يحملهم جميعا!

كان هناك الكثير من الصعاليك والنساء والأطفال. تدافعوا ينظرون لما أتت به تلك السفينة من عجائب الشرق. كلما تم

إنزال أحد العبيد استقبلوه بهتافات وصراخات هي على الأرجح لعنات وشتائم. لكن من بين من صعدوا رجل غير البقية. حسن الملبس, مهندم الشعر, رائحته نظيفة وسط هذا الاختناق المقزز, وتظهر عليه اللهفة. كان يحمل قرطاسا وأخذ يسأل البحارة عن شيء ما لم أفهم منه إلا كلمات متناثرة مما التقطه من ألسنة القوم أثناء الرحلة.

أشار الرجال لي فأتاني وبسط لي القرطاس وسألني بعربية ركيكة "هل تقرأ هذا؟"

كان مخطوطا يونانيا مثل الذي تعلمت منه بعضا من أمور الهندسة. صحيح أن أكثر كتبهم مترجمة للعربية لكني أردت تعلم اليونانية لأذهب للأصول إن غمض علي شيء من الشروح.

أخبرته أن نعم ففرح وأخرج كيسا من النقود دفعه إلى البحارة فجادلوه وفهمت أنه يريد شرائي وأنني لن أذهب إلى الحبر الأعظم.

أخبرني بعربيته الركيكة أن اسمه سلهام (سلجام) وأنه يريد مترجما لكتب اليونان والعرب.

أخذني إلى ضيعته فاستبشرت خيرا فهذا رجل يحب العلم وحتما سيحسن معاملتي وربما افتدي نفسي منه بالمال ذات يوم.

أرسلني إلى حجرة رطبة في قاع قصره وأغلق علي المزاليج وأرسل لي أكواما من القراطيس لأترجمها وكان يرسل لي من الشراب والطعام نصف وزن ما أترجمه.

وتذمرت فلم يكن لي إلا السوط الذي اعتدت عليه حتى لم أعد أهابه

تبا لك أيها السيميائي! زعمت أني سأكون ذا شأن وسأعيش طويلا أذكر كلماتك "هذا الشراب يا بني اللامع لا أمنحه إلا لمن لا علاج له غيره. أنت تستحقه أكثر من غيرك. لا يعلم الغيب إلا الله لكني أرى بك علامات لا تظهر إلا لمن له شأن عظيم ولعلي أرى لك صرحا لا مثيل له يعيش أبد الدهر كما ستعيش طويلا بفضل هذه الجرعة من الشراب."

ألهبتني كلماته ودرست الهندسة والمعمار لأقيم الصروح التي تبقى عبر الزمن كأهرامات مصر وفنار الأسكندرية لكن الصروح لم تأتي لي بخير وإنما بأسر تلته عبودية وذل. ربما لو أنني أطعته ودرست السيمياء كما طلب مني حين

قابلته وأنا في طريقي للرها؟ ربما ما كان هذا حالي وربما ما كان هذا مصيره. لكن لعله يدري ما يقول فهو رجل ذو حكمة وقد أنقذ حياتي وأنا صبي كما أنه عرفني وأنا شاب رغم مرور السنوات وتغير السمات.

أخذت أترجم كل يوم قدر ما أستطيع حتى كاد بصري يكل لكن الرجل أتاني بكتب تحوي كفرا وأخرى تحوي سحرا وثالثة تحوي فحشا فرفضت أن أترجمها فأخذني للحديقة وأخذ يجلدني ويسبني ثم علقني في الشمس تحرقني فوق شجرة وسلط علي الغلمان يعبثون بي.

ومر بي بعد ثلاثة أيام وكنت أهذي من الجوع والعطش والنصب "هل عقلت أمرك وستطيع سيدك."

نظرت له بحقد لم أملكه منذ هلك ذاك الرجل في السفينة وصحت بكلمات وأصوات لا أفهمها وقد اختلطت الرؤى في عيني وبدا لي أن ثعبانا يكلمني ويقول سمعا وطاعة وهجم على الرجل ولم أدري ما حدث بعدها.

في اليوم التالي علمت أن سيدي قد مات فجأة ولا يعلم أحد كيف وتناثر أحد الخدم جزاه الله خيرا شائعة أني مشئوم فقرر أبناءه بيعي في السوق.

البندقية1099

مولاتي تربلينا

عبدك المتضرع سلجام يرفع لك التحياط ويبذل الطاعات.

عثرتن في السوق على أمر عجيب.

عبد عربي به علامة تعرفينها, ناب أزرق! تلك الاسطورة الشهيرة التي لم يعد أحد يصدقها! شخص يمتلك الناب الأزرق فيأخذ في ضعفه من قوة من حوله.

أجري عليه الآن تجاربي, أوقعه تحت التعذيب وأضع جواره كل يوم واحد من ابناء الأذى, وضعت جواره الفأر الأسود وهلك والغراب الأسود وهلك وغدا سأضع جواره الثعبن الأصلع.

اتمنى لو تمدينني بعونك وبالمزيد من الحيوانات المذكورة في أبناء الأذى فلا يوجد الكثير منها حولي.

****

من إمبراطورة الأرض وسيدة الظلمات وملكة الشياطين وحاكمة الأرضين سيدة السحرة وعظيمة المشعوذين تربلينا المجيدة

إلى خادمنا المتواضع سلجام

لم تحن لنا الفرصة على شكرك فيما بذلت من جهد لإغراق عوالم العامة في الحروب العظيمة وهذا العبد هو ثمرة لتلك الجهود. لكنه لا يعنينا في كثير من أمور سنسلط عليه فحسب تعويذة رؤية تخبرنا ان اقترب من انجلترا كي لا تفسد طاقته السلبية خططنا التي أوشكت على الخروج.

****

جلست عند النخاس طويلا لا يرغب أحد في شرائي فقد هزل جسدي وضعفت صحتي فرغب عني الأغنياء.

وأتى رجل يبحث عن خادم رخيص فحاول النخاس بيعي له "هو ليس قوي لكنه ذكي ويجيد لغات عدة ومطيع."

"شكله غريب؟"

رددت "أنا عربي. "

فلطمني الرجل وأخذ سيفه يبغي قتلي "مات أبي على يد العرب وسأقتلك."

أيقنت أني هالك وتملكني فزع شديد لكن نجدة أتتني من الأرض إذ إنهار فجأة صوان النخاس تحت أقدام الرجل وهوى أرضا وقد شجت رأسه فرحل وهو يسب ويلعن.

أخذ النخاس يضربني ويقول أني فعلا مشئوم فإذا بعارضة تسقط على رأسه ليلحق بسابقه!

ثم جاء فمّال العزيز. كان اسمه ركة ابن فمّال (إريك فلامل) تاجر من بلد بعيد غير كل الإفرنجة الذين قابلتهم.

أتى مندهشا ونظر لي متعجبا ثم تحدث مع رفيقه الذي علمت أن اسمه بن ملفوف (بينوس مالفوي) بلغة لا أعرفها تبدو كلغة الإنجليز ثم سأل النخاس عني فأجابه :

"عربي مشئوم كلما أراد شخص شرائه أصابه سوء."

هنا ظهرت من خلفهما بعينيها الزرقاوتين الصافيتين ووجهها المضيء كشمس الضحى وشعرها الأسود الفاحم كليل صيف جميل وكلمتني بموسيقاها العذبة وسألتني

"عربي؟"

"نعم."

"أسمعت برجل يدعى تيمور بن التامر"

"السيميائي؟"

"أبي إنه يعرفه! إذن هو حقيقة وليس أسطورة!"

لا أفهم ما يسعدها لكن قلبي انشرح لسعادتها فقال والدها شيئا بلغتهم لكني التقطت اسمها الجميل (ليلى بنت فمّال) فتاة أجمل من الربيع ومن النسيم ومن الجمال ذاته.

نظرت لي وسألتني بالعربية فلم أرد فقد كنت مشدوها بعذب صوتها وفتنة عينها فاحمر وجهها خجلا.

هزني فمال ليفيقني وهو يضحك وكرر علي السؤال بالرومية"هل قابلته؟"

"نعم أنقذ حياتي وأنا طفل بعصير حجر أسود وتنبأ لي بحال عظيم وصرح فريد أقيمه فما أصابني غير الذل والعبودية."

سألتني بلهفة "تقول حجر أسود. ما شكله وأين هو ألم يخبرك كيف يصنعه؟ كيف أصل إليه؟"

رددت "حجر صغير لامع أسود وحين سأله والدي عن صنعته قال أن السر من الصناعة فلا يمكن أن تعرفه من أحد أبدا يجب أن تكتشفه بنفسك."

قالت متعجبة "تقول سقاك منه؟ ءأنت عزيز عليه؟"

رددت مبتسما"رغم أنه أراد مني أن اتبعه وأتعلم منه السيمياء فلم يكن الأمر كذلك فقد كان يسقي منه كل مريض. قد كان رجلا طيبا يعالج المرضى ويمنح الذهب للمعوزين."

قاطعتني مستنكرة "يهدر حجر الفلاسفة على ال...(وقالت كلمة غريبة اخبرتني فيما بعد أن معناها العامة.) يا له من سفيه."

هنا توتر أبيها وأخرسها هذا الملفوف وأسرع فمّال يشتريني من النخاس

****

وجدت ملفوف يخاطب فمال باليونانية ظنا منه أني لا أعرفها "هذا المال منحه جودريك لنا لشراء العمال والأدوات كيف تهدره."

رد فمّال"لم أنفق إلا القليل والأمر يستحق"

ملفوف "كيف يستحق؟ إنه ضعيف لا يستطيع العمل كما أنني أظن أنك لن تبقيه عبدا وستحرره."

فمّال"أنت رأيت ما حدث عند النخاس كما أنني لن أترك ابنتي تذهب خلفه وتفضح أمرنا بلهفتها الحمقاء على حجر الفلاسفة أتريد أن يحرقونا؟"

جادله ملفوف "لكن جودريك سيغضب خاصة أن المال ليس له وحده بل للأربعة وأنت تعلم أمر الآخرين."

أشاح فمّال بيده "أنت كفيل بهيلجا وروينا فهما من أبناء عمومتك كما أنهما لن يقبلا بوجود مثله أسيرا عند العامة. أنا أخشى فقط هذا الذي يكلم الثعابين فهو يكره أبناء العامة ولا يثق بهم."

رد ملفوف بلهجة مدافعة "سلازار ....لا ترتجف من اسمه هكذا فهو صديقي وليس شريرا لهذه الدرجة. كنت أقول أن سلازار لا يكره العامة فقد حارب هذا الشرير بروم جريندل الذي أراد تدمير العامة ودفع ثمنا باهظا لهذا. هو فقط لا يثق فيهم ويريد إبعادهم عن عالمنا وأنا أؤيده في هذا فعالم السحرة يجب أن ينفصل تماما عن العامة ونطرد العامة من أراضينا ونخرج السحرة من أراضيهم ليعيش كلانا في سلام."

قال فمّال بضيق "لن يقبل الكثيرون بهذا فمثلا طائفة الحداريم ترتزق من العامة وملوكهم....."

رد ملفوف "هم نصابون لا يجب حسبانهم سحرة مساوون لنا....."

قاطعته فزعا "أنتم سحرة؟"

نظر لي ثلاثتهم في فزع شديد وتلفتوا حولهم ليروا إن كان أحد المارة قد سمع صراخي أما ملفوف فقد أخرج عصا خشبية سوداء صغيرة من عباءته وتمتم بكلمات لا أفهمها ولكنها تبدو قريبة من اللغة الرومية القديمة ثم قال فمّال "اصمت ستتسبب في هلاكنا."

صرخت "هلاككم؟ وماذا عن هلاكي أنا؟ أنا أرفض السير معكم أو البقاء مع سحرة."

قال ملفوف "أرئيت. إنه مجنون متعصب للعامة يطالب بحرقنا."

رد فمّال "ليس المكان آمنا هنا فلنرحل ولنكمل المناقشة فيما بعد."

وأشار لي بعصا مماثلة لعصا ملفوف قائلا "بيندا فاستيوس" فوجدت نفسي أتبعهما رغما عني بخطى سريعة كأنما أنا مربوط لجواد خفي يجرني رغم مقاومتي.

وكافحت بشدة هذا الرباط الخفي واستجمعت كل عزمي وقوتي لأبتعد فإذا بي أجد نفسي فجأة قد قفزت قفزة مهولة ووجدت نفسي في آخر الطريق المظلم

لكنهما لحقا بي في لحظة واحدة وملفوف يقول مذهولا "لم أر في حياتي مثل هذا أبدا لقد قام بالأررررري وقال كلمة غريبة أظن أن معناها القفز الفجائي (الانتقال الآني) بدون أن يتعلمه من قبل."

قلت بحدة "ماذا تعني ؟ أنا لم أقم بأي سحر وأرفض أن أقوم به."

نظر فمّال حوله ثم جذبني من ذراعي إلى داخل منزل مهجور قريب ونظر لي مباشرة في عيني وقال "نعم نحن سحرة وأنت أيضا."

"أنا لست ساحرا وأعوذ بالله من السحر."

"حسنا كيف إذا انتقلت فجائيا لآخر الطريق وكيف حطمت الصوان فوق رأس النخاس وقبلها شققت الأرض تحت قدمي هذا الأحمق. لقد رأيناك وعلمنا أثر السحر في أعمالك حتى لو كنت لا تدري بها."

"أنا لست ساحرا ولا أرى للسحرة جزاءا إلا القتل فافعل بي ما شئت."

قال ملفوف بغلظة "أنت عبد سيء التربية ولو لم تحترم سيدك فسأذيقك عذابا لم تحلم به"

رددت محتقرا "افعل ما شئت وقد حاول سيدي السابق تعذيبي فلم يخضعني ولو كان في نفسك السوداء ذرة خير فاعتقني وسأرد لك المال من عملي."

قال بسخرية "وماذا تعمل يا هزيل الجسد سليط اللسان كثير العصيان."

رددت"أعمل في الكثير أجيد أكثر من لسان فأترجم وأخبر فنون الهندسة والبناء وأعلم بقليل من علوم الفلسفة والسيمياء."

وأشعلت مرة أخرى حماس الجميلة ليلى فأسرعت تسأل "لم تخبرني عن السيميائي وحجر الفلاسفة."

كان من الصعب على نفسي أن ترد طلبا لذات الجمال الملائكي والصوت الموسيقي لذا تلعثمت وارتبكت وأنا أبادل هذا الملفوف نظرات التحدي

أما الأب العجوز فأشار لابنته بالصمت وسألني "أتجيد الهندسة؟"

"نعم فأنا من أفضل أهل المعمار في بلادي."

نظر لملفوف مبتسما وقال "حلت مشكلة المال سيشارك في البناء"

احتج قائلا "ألا ترى فكره"

واحتججت بدوري "لا أشارككم سحركم الممقوت."

وبدا أن الشجار بيننا سيندلع لأقصى الافق

****

عن السحرة والحداريم

تدخلت ليلى فأذابت غضبي في بحر عينيها وقالت "اهدأ يا فتى. لا نعني بالسحر السحر الذي ترفضه. حسنا دعني أفكر. أنتم يا معشر العرب تقولون الساحر والسيميائي والحاوي والمشعوذ والدجال والكاهن. نحن نسمي هؤلاء جميعا سحرة بعضهم يتخصص في ألعاب الخفة ولا يملك من باقي الفنون إلا القليل مثل أتباع الحداريم وهؤلاء كان لهم شأن عظيم لأنهم من كانوا يتوارثون علومنا وكتبنا قبل إنشاء المدارس ولقربهم من ملوك العامة الذين بيدهم الحكم والبطش لكنهم الآن لم يعودوا إلا طائفة منبوذة تتلقى فتات القوم ومن ولدوا لسحرة دون أن يملكوا سحرا فلا يمتلكون إلا ألعاب الخفة.

البعض يمارس السحر الذي تحرمه وتكره هذا الذي يلعب بالعقول ويضلل الأعين وينشر الأوهام والأذى

ويسخر معه علوم أخرى يستمدها من الشياطين والقوى الشريرة لكي يبتكر وسائل للأذى والقوة

هؤلاء لهم نفوذ وبطش بيننا واعترف بأن بعض علومهم منتشرة بين الكثيرين ونسميها فنون الظلام لكن من

يتخصص فيها قلة ونحاربهم حربا شديدة وأغلبهم يريد تدمير العامة الذين لا يمتلكون قوة السحر ودارت بيننا وبينهم حروب مريرة وفي المدرسة الجديدة التي سينشئها ابن أختي جودريك جريفندور مع بعض صحبه لن يكون لهذه الفنون مجال بها إلا لكشف ويفها ومحاربتها."

رددت متسائلا "إذن فمن أنتم؟"

"أنت تعلم هذا السيميائي الذي حدثتك عنه. عندنا السيميائي ساحر متخصص في فنون السيمياء والكيمياء أما عندكم فالمعنى أوسع ويشمل ما نسميه سحرة وهو شخص يولد بقوى خاصة تتفاعل مع قوى الحياة والطبيعة فيرى ما لا يراه الآخرون ويفهم ما لا يفهمونه ويستطيع فعل أمور معجزة لهم كما فعلت أنت حين خاطبت دون أن تدري أرض الصوان وسقفه فأطاعاك لتخليصك من النخاس

لكن الأمر يحتاج لعلم كثير وعمل أكثر لتصل للأسرار الأكبر والأعمال الأصعب

لذا فنحن لسنا بالشر الذي تخاف منه ولسنا بالسحرة الذين تعرفهم لتسمنا سيميائيين."

لا أدري أصدقتها أم نفسي التي لانت لعينها طاوعتها واجبرتني على التصديق. أفكر أنها كانت لحظة شر عظيم تسببت فيما رايته بعدها من أهوال ولكنها أيضا لحظة خير عظيم فتحت لي أبواب تلك النعم التي تحسرت عليها حين نزلت المصائب,

"وماذا تعنون بالعامة وبالمدرسة وبالحداريين ومن هو هذا الذي يخاطب الثعابيين."

"العامة هم البشر العاديون الذين ولدت أنت بينهم والمدرسة هي مدرسة لتعليم علومنا تقع قرب هوجسميد مدينة السحرة في انجلترا يريد مؤسسيها الأربعة وهم أعظم سحرة في زماننا بناءها لتكون أعظم مدرسة في التاريخ وأحدهم وهو ابن أختي الكبرى (رغم أنني أصغر منه سنا بكثير) هو الفارس النبيل جودريك جريفندور أعطى والدي مالا لنشتري له من رومية والبندقية أفضل العمال ومواد البناء التي يشتهر بها أهل هذه البلاد."

"لعل هذا هو الصرح الذي زعم لي السيميائي أني سأبنيه فيخلد عبر الأزمان."

"لم تحدثني عن السيميائي وحجر الفلاسفة."

"لم تخبريني بالذي يحدث الثعابين."

"لم أنت مهتم يسلازار سليذرين إنه رجل خطير غامض يكرهه الكثيرون ويخشونه."

لم أخبرها أنني أظن في نفسي أني خاطبت ثعبانا وأمرته بلدغ سيدي السابق فقد بدا لي أنها تكره هذه الصفة فأردت تغيير الحديث

"وأولئك الحداريم.؟"

"حسنا يوجد الآن مدارس كثيرة جدا لتعليم السحرة فكل ساحر يظن نفسه عظيما ينشيء مدرسة باسمه ربما لا تحوي طلبة بعدد الأساتذة -سالازار له مدرستين أحدها لتعلم فنون الظلام- أما قديما فلم يكن الأمر هكذا كان الطالب يلتحق باستاذ واحد يرافقه في حياته سنوات طوال يسافر معه إن سافر و يبيت في بيته ويأخذ عنه العلوم كلها بلا استثناء فكان هذا الاستاذ يسمى حدريم والجمع حداريم ويظل الطالب طالبا حتى يمنحه استاذه شهادة بنجاحه فيصبح حدريم بدوره وكان لهؤلاء الاساتذة شأن عظيم فهم الحرس على علومنا وهم همزة الوصل مع العامة الذين يلجئون لهم من

أجل التكهن بالمستقبل والمساعدة وغير ذلك وكانوا لا يقبلون إلا الاغنياء طلابا لهم

اليوم يكادون ينقرضوا لأن الناس تذهب للمدارس حتى لو كانت سيئة وضعيفة حتى أنهم أنشأوا طائفة باسمهم ودخلوا في صراع مرير مع أصحاب المدارس ليغلقونها وهو الأمر الذي ستضع له مدرسة هجوورتس النهاية الحاسمة"

وقال فمال "لذا فهم الأعداء الذين يجب عليك الحذر منهم وأنت تدخل لعالمنا. لقد كان أكثر من نصف جيش الملعون جريندل من الحداريم رغم أنهم لا يكرهون العامة وأحدهم هو الذي أتى بتلك الكائنات الشريرة لعالمنا المسماة المسماة المسماة.....ماذا كان اسمها يا مالفوي؟"

"الديمنتورات سارقة البهجة وآكلة الأرواح."

"من هو جريندل هذا وماذا فعل؟"

****

مولاتي الامبراطورة

يرفعه لك السير اليكس بليور الذي تشرف بائتمانك له على بوابة الأرواح

نلحظ نشاطا رهيبا في العالم السفلي وما يصل لاسماعنا من تعاويذ يتحدث عن فتح الأبواب. لابد أن شخصا من المرصود لهم قد اقترب من البلد. نعلم أنك مصابة لكن السيطرة على الباب وسط هذا الهياج صعب للغاية.

ارسل لكي بومتي هذه وكلي أمل أن تأتي بنفسك وتساعدينا.

****

كما قص علي فمال كانت هناك ثلاثة حروب كبرى للسحرة بسبب العامة مازالت تلقي آثارها حتى اليوم

يقول فمال

كان هناك أحزاب عدة بين السحرة فهناك من أرادوا تنصيب ملكا عليهم في دولة لهم تجاور دول العامة وهناك من أرادوا الانطواء تحت حكم العامة وأغلبهم من الحداريين ومن فضل الاختفاء وسط العامة لا يعرفونه.

ثم ظهر حزب سعى لفرض رأيه بالقوة أنشأه ساحر هندي عرف بشيرويك أجابا يطالب السحرة بالابتعاد عن العامة وإنشاء دول للسحرة فقط

ظهر زعيم من هؤلاء يلقبونه بالأسد الأرقط ولا يعرف أحد اسمه فقد كان يعذب كل من ينطق باسمه وأصبحت عادة لدينا بألا ننطق باسم من نخافه

أنشأ هذا الرجل جماعة تدعو لمحق العامة من أراضي السحرة وجمع جيشا من ثلاثمائة ساحر وعشرات العمالقة والترولات وأخذ يهاجم قرى العامة ويحرقها الواحدة تلو الأخرى

لكن الحداريم تصدوا له وتزعمهم سبعة من أكبر سحرة العصر وتحدوه في معركة فاصلة فجمع جيشه في واد فسيح ليواجه جيش الحداريم السبعة الذي لم يزد على سبعين من تلامذتهم لكنهم خدعوه فقط كانوا يريدون منه جمع كل رجاله في مكان واحد وما أن بدأ هجومه عليهم مطلقا التعويذة القاتلة "سيبتا هيدبودا" التي تفصل رأس عدوك عن جسده حتى قاموا بلعن الوادي بأكمله ليختفي بالجيش من عالمنا ويقال أنه أصبح منفيا في عالم الأشباح السوداء. هزم في الحرب لكن حزبه ظل حيا ينتظر الفرصة.

بعد هذه المعركة بثلاثمائة عام ظهر بروم جريندل وهو رجل حاد الذكاء شديد المكر أدرك أن طريقة سلفه كانت حمقاء فأخذ يجمع الأتباع بالذات من الفئات المضطهدة كالحداريم وأبناء العامة والفقراء يغريهم بالمجد والقوة ومن النبلاء والأقوياء بمغازلة كبرهم وكرههم للعامة وإذا وجد خصما يتحداه لم يحاربه وإنما يحاول ضمه لجانبه بالابتزاز والإغراء والتهديد

وزاد أمره وفشا فساده وأصبح العامة يقتلون جهارا نهارا فلا يجدون من يحميهم وفي المقابل انقلبوا على السحرة وأخذوا يحرقونهم

وبدا أن الأمر خلص لجريندل بعد سيطرته على عالم السحر حتى ظهر الأربعة العظام

كان أول من تحداه أكبرهم سنا وأكثرهم علما بفنون الظلام سالازار سليذرين الذي نجح بطريقة مجهولة في اكتساب القدرة على مخاطبة الثعابين فأصبح يأمرهم بالتجسس على جريندل وأعوانه

****

نظر سالازار لكبير المعلمين رونالد جريفندور مستنكرا "تطلب مني أن أؤجل سفري؟."

"سالازار نحن صديقين منذ زمن بعيد وأنا لا أرى لسفرك إلى رومانيا فائدة. ماذا ستجني من دماء التنين؟"

"إن التنين له قوة سحرية كبيرة وأنا لم أصل إلى ما وصلت إليه إلا بالسعي خلف كل شيء له قوة سحرية كبيرة."

"عندك من تنانين انجلترا ما يكفي."

"أنا ابحث عن فوائد دماء التنين وأريد أن أكون أول ساحر يكتشف لهذا المخلوق المتوحش فائدة وهناك في رومانيا لهم خبرة كبرى بالتنانين لذا فيجب أن أبدء من هناك. واطمئن علي سيكون مالفوي معي."

"أنا خائف على المدرسة إن تركتها. أتباع جريندل متحفزون ولا يخشون أحد غيرك."

"دعك من هؤلاء الجبناء. جريندل لن يجرؤ على محاربتي فهذا العجوز يعلم قدري وقوتي كما أنه يعلم أن الخلاف بيننا

ليس كبيرا فأنا أيضا أطالب بفصل عالمنا عن عالم السحرة أنا فقط أرفض وسائله العنيفة."

"بل أنت أشد أعدائه فجريندل لا يسعى حقا لطرد العامة وإنما إلى استعبادهم."

"على أي حال سيبقى معك ابني الأكبر سالازار الصغير وستخبره الأفاعي بأي نوايا سيئة وسيبلغ هو الشبح بيفز ليحذرك فورا."

حاول كبير المعلمين الاعتراض لكن سالازار تجاهله وانطلق على مقشته ليلحق آخر أضواء الغروب قبل السفر

وخرج خلفه كبير المعلمين وهو يحث أولاد سالازار على الإسراع للمدرسة وألا ينسى سالازار الصغير أن يأمر بيفز باتباعه للمدرسة

خرج الأخوة الثلاثة لكنهم لم يروا ذلك الطائر الذي خرج خلفهم من المنزل.

لم يروه إلا بعد أن دار مرتين على سطحه وأسرع عبر الأفق

قالت سيسيليا وهي تنظر له "يبدو كطائر شؤم."

رد سالازار الصغير "كفاك سخفا."

لكنه تتبعه بعين قلقة

ولم يره وهو يحط على كوخ أسود في حقل بائر ليفرغ ما عنده من أخبار

لقد رحل سالازار يا إخوان المجد

لقد ذهب لرومانيا ولن يستطيع العودة في الوقت المناسب

هذه هي الفرصة يا جريندل.

قاتل رونالد جريفندور بشجاعة هو ومن معه

فوجيء بعد بدء الدراسة بقليل بحشد كبير يحيط بالمدرسة والتعاويذ القاتلة تنهمر على الطلبة المساكين

أمر بإخراج الطلبة الصغار من النفق السفلي ففوجئوا باتباع جريندل ينتظرونهم هناك بتعاويذ التعذيب والسحق فجمع الطلبة الكبار والاساتذة وبدأ بشق الحصار بالقوة

لكن النار اشتعلت في المدرسة بسرعة رهيبة ولولا النجدة التي أتت من آل جريفندور وآل هافلباف أقرباءه لقتلوا عن آخرهم لكن الوضع قلب لصالحهم فقد كان معهم ابن عمه جودريك جريفندور الشجاع ونسيبته روينا رافنكلو البارعة الذان تنافسا في أسقاط أكبر عدد من إخوان المجد أتباع جريندل

ولأول مرة منذ غادرهم سالازار ومالفوي ابتسم رونالد فقد بدا له النصر وشيكا وأخذ يجمع طلبته في صفوف كالجنود ويأمرهم بإطلاق تعاويذهم دفعة واحدة لتجندل الأعداء

كان يرتدي درعا على رقبته ليحتمي من التعويذة القاتلة "سيبتا هيد بودا"

ويأمر طلبته بتفاديها وهو أمر سهل لصعوبتها وكثرة الحركات التي يقوم بها قائلها

لذا كانت صدمته عنيفة حين فوجيء بسقوط سالازار الصغير ميتنا فجأة خاصة أن رأسه كانت سليمة

نظر فوجده هناك بنفسه

الساحر الرهيب جريندل أتى بنفسه إلى المعركة. كيف وقد كان في فرنسا؟ لم يكن يعرف

أتى ومعه جيش مفزع من كائنات ضبابية تشبه الأشباح لكنها أسوأ كانت تسير بين المقاتلين فيملئهم الهم ويستسلمون لم يكن أحد رأى مثل تلك المخلوقات من قبل فأثارت فزعا هائلا بين الطلبة

قال لنفسه لكنها لا تلعن ولا تقتل يبدو أن تأثيرها نفسي فقط صحيح أنها تذكرني بأسوأ ذكرياتي لكنها أقل خطرا من تعويذة جريندل."

كان جريندل يطلق تعويذة لا يعرفها أحد في انجلترا تعويذة قاتلة لا تستطيع الدروع حتى السحرية أن تصدها تطلق شعاعا أخضر ما أن يمس الضحية حتى تسقط ميتة

"أفادا كاديفرا" وسقط رونالد الحكيم الشجاع ليلحق بتلميذه سالازار الصغير

وانهار مبنى المدرسة المحترق بعد أن كسر جريندل تعاويذ بناءه

وتشتت المقاومون في كل مكان بينما انطلق خلفهم إخوان المجد يتصيدونهم حتى أنهم هاجموا بيت سليذرين وقصر كارلوس هافبلباف وضيعة آل جريفندور ومنازل أنسبائهم وبعدها أقاموا احتفالا كبيرا بنصرهم اتبعه انتشار السحرة المخمورين يتصيدون العامة في كل مكان.

لكنه نصر قصير فقد خلقوا ضدهم حلفا لا يستهان به من آل جريفندور ورافنكلو وسليذرين وهافلباف

وعلى رأسهم أعظم أربعة عرفهم التاريخ.

الإنتقام

نظر سليذرين بعينين دامعتين لجثث أبناءه الثلاثة القتلى توارى التراب.

لم يتكلم ولم يصرخ لكنه ود لو فعل.

إن الألم لا يطاق يكاد يجعله يهيم على وجهه في الطرقات لكي يدق رأسه في كل باب عل دماءه النازفة تطفيء اللهيب الحارق.

لكن الصدمة تشله تماما.

الصدمة والندم. ليته سمع لكلام رونالد جريفندور المخلص ليته لم يسع خلف التنانين ودمائها ليته بقى هنا ليته ...ليته.

لكن الأماني لاتعيد الموتى

والندم لا يريح بل يزيد اللهيب ويؤجج الشوق للأبناء الصرعى

فقط الإنتقام قد يمنحه شيء من الراحة.

تبا لهذا العجوز جريندل ولتعويذته الجديدة أفادا كاديفرا التي أخذها من قبيلة الفون السحرية

سيقتله بها بنفسه وليس بغيرها.

لن يكون سالازار سليذرين العظيم لو لم يقتل جريندل بأقوى أفادا كاديفرا رآها التاريخ

سيجوب العالم كله يجمع أسلحته حتى يحطم بروم جريندل وإخوان المجد فلا يبقى لهم إلا ذكرى سوداء كريهة

بعد انتهاء مراسم الدفن أتاه الثلاثة جودريك جريفندور فارس الجريفندوريين الشجاع وقريب رونالد الصريع ومعه روينا رافينكلو التي دافعت عن المدرسة ببراعة استجابة لنداء نسيبها رونالد وهيلجا هافلباف الساحرة الشهيرة ذات البأس التي انتزعت زعامة آل هافلباف رغما عن أنف رجالها تريد الثأر لما أصاب قصر عمها كارلوس

نظر لهم رافضا التعاون "هذا ثأري وحدي وسيعلم جريندل الحقير من هو سالازار سليذرين العظيم."

ردت هيلجا بذكائها المشهور "بل اخبرني أولا ماذا عن مدرستك؟"

"سأعيد بناءها."

"لتحترق ثانية وتكون نقطة ضعف تشغلك عن حربك."

لم يرد سلازار في البداية فأكملت هيلجا "سنبني معا مدرسة واحدة عظيمة تحت حمايتنا نحن الأربعة تحل محل كل تلك

المدارس الصغيرة المتناثرة وتدرب السحرة ليتصدوا لأمثال جريندل وإخوان المجد لكن يجب أن نبقى معا لنحمي هذه المدرسة حينما يغيب أحدنا فالحرب مع جريندل ستكون طويلة ومرهقة."

قال جريفندور مؤيدا "سالازار على الأقل يجب أن تقبل تعاوننا في إعادة بناء المدرسة فهذا سيكون أقوى تحد لجريندل ولو لم نفعلها فسيفزع كل السحرة ويخضعون له."

أدرك سالازار أهمية هذا الكلام كما أدرك أنه يفتقد صديقه رونالد والذي يشبه جودريك كثيرا وأن جودريك سيكون حتما خير بديل لصديقه الذي خسره في الحرب.

كما أن جريندل هزمهم بأسلحة جديدة كالديمنتورات والأفادا كاديفرا ويجب عليه البحث في أنحاء العالم عن القوة والسحر الأشد فتكا لكي يهزمه فكيف سيفعل هذا دون أن يترك المدرسة بلا حماية؟

وهكذا ظهرت هجوورتس الأولى باسم مدرسة أعداء جريندل في قصر كارلوس هافلباف بعد تجديده.

وكان لإعلان هذا الأمر وقعا مدويا على إخوان المجد فإنشاء مدرسة جديدة يمثل تحدي لأتباعه الحداريم كما أن اسم

المدرسة وأسماء مؤسسيها أشعلت الأمل في قلوب أعداءه فأسرعوا من كل بلاد العالم يتجمعون حولها لتكون أقوى معقل لهم ضده

وأسرع أتباعه في انجلترا يتجمعون لضرب المدرسة الجديدة بسرعة قبل أن يستفحل خطرها وأقسموا ألا يتوقفوا حتى يقتلون سالازار سليذرين ويتخلصوا من خطره للأبد.

أرسلوا جاسوسهم الذي تحول لشكل طائر أسود وذهب ليتجسس على الأربعة الكبار وعلموا أنهم ذاهبين إلى هوجسميد مدينة السحرة التي يسيطر عليها أتباع جريندل حيث طردوا منها كل أبناء العامة وأنصاف السحرة وحتى أبناء السحرة الذين لا يملكون قوى سحرية

كانت هذه الزيارة تحد سافر لجريندل لابد من الرد عليه.

فأعدوا خطة ماكرة حيث سيهاجمون منازل أهالي الطلبة الذين في مدرسة أعداء جريندل وحتما سيأتي الأربعة الكبار للتصدي لهم وهم في هوجسميد

وهناك يشتبكوا مع كمين من الديمنتورات

بينما يتوجه جموع إخوان المجد لتدمير المدرسة وتسويتها بالأرض

وأتى اليوم المشهود ذهب الأربعة إلى هوجسميد في تحد لأعوان جريندل وسرعان ما أتاهم نبأ الهجوم على بيوت حلفائهم فأسرعوا للتصدي له

واجهتهم الديمنتورات لكنهم كانوا قد أعدوا لهم مفاجأة تعويذة الباترونس التي تعاونوا معا في اختراعها

وقال الأربعة معا "إكبسبكتو باترونام" وخرج أربعة حراس تفرق جموع الديمنتورات

هاجم إخوان المجد المدرسة فوجدوا كمينا في انتظارهم فانسحبوا سريعا وانتهى اليوم بانتصار معنوي قوي للأربعة لكن لم تكن المعركة قد انتهت

في الصباح التالي لم يستيقظ أغلب إخوان المجد من نومهم.

كل من شارك في الهجوم الفاشل على المدرسة مات.

أثار هذا الموت الجماعي الغريب الرعب في القلوب وأخذ الجميع يتهامس عن سالازار سليذرين الذي استعان بقوى الظلام لينتقم لأبناءه.

وسرعان ما خرج باق إخوان المجد من إنجلترا لكن الحرب مع جريندل لم تنتهي.

****

السلاح المدمر

سألت ليلى "وكيف هزموا هذا الجريندل؟"

قالت "دار صراع طويل استخدم الطرفان فيه كل الأسلحة لكن الأربعة تسلقوا سلم المجد بسرعة مذهلة وبلغوا معا علوما وقوى لم ينالها أحد من قبل وسرعان ما أطاحوا بقادة جريندل واحدا تلو الآخر ووصلت أفاعي سليذرين لأعمق الكهوف التي يختبيء فيها أعوانه بينما تخلى عنه حلفاءه واحدا تلو الآخر وانقلبت عليه مجالس السحرة ومحاكمهم فانهار ومات وحيدا بعد أن دمرت قوته."

"لم يقتله سالازار بالتعويذة القاتلة إذن؟"

"لا لكنه قتل أكبر أعوانه وهو ابنه جاكوب جريندل بها ثم ترك جريندل يموت وحيدا عاجزا يجلله العار."

"أهذا هو انتقامه الفريد؟"

نظرت في غيظ إلى ملفوف أو مالفوي هذا وقالت

"كان مالفوي معهم حينما كسروا تعاويذ قلعته بطريقة مهولة حتى أنها تهدمت لكنه يرفض أن يقول لنا الحقيقة. الإشاعات تقول أنهم استخدموا سلاحا رهيبا لا مثيل له دمر

قوته وأباد الديمنتورات التي كانت تحميه." ثم صمتت مترددة وأكملت في خفوت "يقولون أن السلاح كان رهيبا لدرجة أنهم لم يجرؤوا على استخدامه ثانية لقتله وأن جريندل عندما مات كان.....كان مجرد عامي عادي."

قال مالفوي متبرما "كم مرة قلت لكي على الحقيقة لكنك تنكرينها. لقد هزموا جريندل وأسروه وسلطوا عليه عددا من الديمنتورات تتابعه حتى الموت وتمتص ذكرياته السعيدة كلها."

أكمل فمال "على أي حال لو كان هناك سلاح فائق لاستخدموه ضد تربلينا. كانت هذه هي الحرب الكبرى الثالثة. ساحرة خارقة كانت على العكس من جريندل تريد دمج السحرة في عالم العامة كلاهما تحت حكمها. حاولت فرض سيطرتها على انجلترا وهزمت سالازار سيلذرين في مبارزة فردية أثناء محاولتها قتل زوجين من السحرة النبلاء الذين ليس في دمائهم دماء عامة. كانت تحرم زواج السحرة من بعضهم كي يتضاعف عددهم وينتشروا وسط العامة ويحكموا الأرض. كاد سلذرين أن يموت بسم تعويذتها المجهولة لكنه تعرف وقتها على روينا رافنكلو التي عالجته,

بعد هزيمة جريندل تفرغوا لمساعدة روينا لطرد تربلينا, تقول الشائعات أن هذه الساحرة الخارقة هي في الحقيقة أخت غير شقيقة لروينا وهناك أسطورة خاصة عن أنها جسد تتقمصه ثلاثة أرواح لثلاثة من شقيقات روينا. على أي حال كانت فتاة مجنونة . زعمت أنها امبراطورة ونسبت نفسها لساحر عظيم اسطوري يدعى جريجوري جريجوري, يفترض بالمناسبة أنه كان زميل السيميائي تيمور ابن التامر."

قاطعته ليلى "هي أيام حروب وذهبت, مات جريندل واختفت منكسرة تريبلينا بينما أنت لم تخبرني بعد عن حجر الفلاسفة!"

للمرة المائة تسألني نفس السؤال عن هذا الشيء الذي لا أعرفه. ويبدو أن والدها سأم هو الآخر منها فقال لها

"عزيزتي دعك من هذه الحلام. حتى الأربعة لم يستطيعوا صنع حجر الفلاسفة فلا تدعي حلم الخلود يذهب عقلك."

"لكنك سمعته. هذا السيميائي حقيقة وليس أسطورة وهو سيدلني على الطريق الذي أصل إليه به."

رددت آسفا "لا أستطيع. لقد مات."

نظرت لي مذهولة وقالت "مات؟ لكن كيف؟ إنه يملك حجر الفيلسوف وأيضا إكسير الحياة. لا يمكن أن يموت."

"كل المخلوقات تموت. لقد اعترضه بعض قطاع الطرق وقتلوه قرب دمشق."

بدا عليها حزنا شديدا وودت لو أفعل أي شيء في العالم لأمسح عنها هذا الحزن

لكن ملفوف اللعين قطع أفكاري "هل تجيد البناء والمعمار حقا."

"نعم. أنا على حداثة سني من أفضل المهندسين في بلادي."

"حسنا أصدقك. إن جودريك جريفندور طلب منا أن نساعده بجلب العمال لبناء مدرسة هجوورتس."

"ألم تقل أنهم بنوها في قصر كارلوس هذا؟"

"مر مائة عام على بناء هجوورتس المدرسة القديمة التي أسسها جد سليذرين كما أن المدرسة الحالية ضاقت بالطلاب ويريد الأربعة أن يبنوا معا بنفس الاسم أعظم مدرسة في العالم وفي التاريخ تسع أي عدد من الطلاب لتحل محل كل المدارس الصغيرة المتناثرة بما فيها مدرستي سليذرين وتجذب أفضل المعلمين من أركان الدنيا الأربعة."

وأكمل فمّال "يريد الأربعة أن تكون المدرسة قوية في كل شيء وتكون في صلابة مباني العامة التي لا يستخدم السحر في بناءها فلا تنهار إذا ما جاء ساحر خارق وحطم تعاويذ حمايتها كما انهارت مدرسة سالازار سليذرين وقلعة بروم جريندل. لذا يريدون مهندسا يجيد فنون العامة في البناء ولا أجد خير منك خاصة أنك ساحر أو سيميائي كما تحب أن تسمي نفسك."

رددت "لن يكون الأمر صعبا علي فقد بنيت صروحا قوية صمدت أمام جيش الصليبين أكثر مما صمدت الرها نفسها. ولولا تخاذل أميرها واستسلامه لظلت صامدة حتى اليوم."

رد فمّال "إذا فأنت معنا في هذا الأمر وستكون الساحر المعماري لهجوورتس أعظم مدرسة للسحر في التاريخ."

وقالت ليلى "وستكون معنا في عالم السحرة "

أحسست بسعادة غامرة كأنها تقول لي سأكون معك أبد الدهر

ولأول مرة ابتسم ملفوف لي وقال "مرحبا بك في عالمنا أيها الساحر الجديد أو -حتى لا تغضب- السيميائي."

****

القصر

مضيت مع السحرة الثلاثة وهو يجولون في السوق وسألتهم "ما حجم هذه المدرسة التي تنوون بناءها ربما أقدر لك عدد العمال الذين تحتاجهم."

ابتسم فمّال قائلا "إن عمالنا غير عمال العامة سنذهب لسوق روما الكبير الحقيقي بعد قليل فلا تتعجل."

كان كلامه غريب فنحن في البندقية بعيدا عن رومة كما أنني زرت روما مرارا مع سيدي السابق وأعلم أسواقها جيدا. وفي جميع الأحوال فإن العمال المهرة لا يباعون في الأسواق وإنما يستأجرون من أماكن تجمعهم على أطراف المدن.

ركبنا زورقا تجول بنا في قنوات المدينة حتى وصلنا أسفل جسر قديم تفوح منه رائحة عطنة فلا يقترب منه أحد وحينما غبنا أسفل ظلام الجسر عن عيون المتلصصين أخرج ملفوف عصاه وقال "لاموس" فأضاءت كمصباح منير وظهر لي نفق ممتد يجري تحت الجسر دون أن يظهر له أثر من خارجه فصحت متعجبا "من أين ظهر هذا النفق."

قلتها بالعربية التي كما يظهر لا يعرفها سوى اليمامة الرقيقة فنظرت لي مندهشة وقالت "هل ترى النفق حقا؟"

ثم وجدت ملفوف يقول "أوبايو أوينيوس." ثم نظر لي متطلعا لوجهي كأنما يريد رؤية شيء ما فقالت له ليلى "لقد رأى النفق قبل أن تنطق بالتعويذة! يبدو أن الستار السحري قد تهالك."

رد "مستحيل! حتما يمزح. على الأقل كنا رأيناه نحن."

رددت محتدا "ولم أمزح أو أكذب. هي سمعتني أصف النفق قبل أن تلغو بتلك الكلمات."

أسرع فمّال يتدخل "هدوءا. سأرفع ملحوظة لمجلس سحرة فينسيا فربما يكون السحر غير فعال لسحرة الشرق."

ثم اندفع المركب بنا بسرعة كبيرة دون شراع أو مجداف. مندفعا عبر المنحنيات دون أن يوجه بالدفة وأنا أتلفت حولي مذهولا أحاول أن أرى إن كان هناك ما يجذبه من الأمام أو يدفعه من الخلف بينما ليلى لا تكف عن الضحك عليّ بضحكاتها الرقيقة وملفوف يراقبني باستمتاع مقيت.

واقترب الزورق من ضوء في نهاية النفق ما أن تجاوزناه حتى شهقت من الذهول فأمامي كان أروع مشهد رأيته في حياتي.

كان قصرا مذهلا تحيط به حدائق لم أرى مثلها لا في الشكل ولا في أنواع النباتات العجيبة ولا في الأضواء الرائعة بكل ألوان الطيف تجول حولها.

أما أكثر ما شد نظري فكان القصر نفسه الذي لم يكن تحفة معمارية وإنما معجزة حقيقية فلكي أبني قصر كهذا سأستغرق عشرة أعوام وسيتهدم في أقل من عام واحد لأن توزيع الثقل بين جوانبه غير متوازن فهناك كتلة مهولة في طرفه الشرقي (إن كان هذا هو الشرق فالشمس لا تظهر هنا رغم وجود ضوء ساطع أبيض مريح في كل مكان) لا توازنها أي كتلة أخرى من الغرب

زخارف القصر التي تعلوها بعض الطحالب وهي في منتهى الدقة والروعة تشير إلى أن عمره على الأقل مائة عام.

ثلاثة أبراج في الغرب تعلو لعنان السماء بارتفاع لا أظن أن حتى أهل بابل وزبانية فرعون فكروا في الوصول إليه

أما القبة بل الهرم الضخم الموجود في الوسط فهو يرتفع على أعمدة منقوشة رفيعة بطريقة تثير جنون أي بناء.

دار الزورق حول القصر في خندق مائي رفيع فسألت فمّال "من بنى هذا القصر؟"

"ولم؟"

"حسنا أريد معرفة كيف بناه فهذا إعجاز حقيقي"

"القصر جميل حقا وتكلف الكثير لكن قواعد البناء لا تنطبق تماما عندنا فهناك تعاويذ للبناء تسهل أمورا تبدو للعامة مستحيلة."

"إذا لماذا تحتاجون لعمال من العامة؟"

"لم أقل أن العمال من العامة سترى بنفسك العمال الذين سنشتريهم لكننا بحاجة لمهندس من العامة فصحيح أن تعاويذ البناء قوية وسهلة لكن هناك خطر أن يأتي شخص ويحطمها ولو أن هذا يحتاج لعلم وصبر لا يملكه إلا أقل القليل من عظماء السحرة فمن الأسهل أن تلقي بتعويذة مدمرة تحطم الدفاعات عن أن تبحث بتأني وصبر عن ثغرة تفكك تعويذة قديمة وتفكيك التعاويذ فن صعب للغاية أعقد

من اختراعها. لكن مؤسسي هجوورتس يبحثون عن الكمال."

"إذا فيمكن تحطيم مبنى كهذا بتعاويذ مدمرة فقط؟"

"هذا المبنى محمي بشكل جيد ليس بتعاويذ بناء فقط وإنما بقوى دفاعية كبيرة واختراقها ليس سهلا إلا إذا امتلكت قوة كبيرة مثلا مثل....."

قاطعه صوت حانق من أعلى "ولماذا تفكر في تدمير قصري يا فلامل؟"

نظرت للأعلى فوجدت أننا وصلنا لبوابة ضخمة من البرونز المشغول يعلوها ختم على شكل طائر الرخ ويطلب من نافذة منها رجل ضئيل أصلع له لحية كثة.

رد فمال ضاحكا "إنما كنت أعرف ضيفنا على البناء في أوروبا فهو سيميائي ومعماري من الشرق بهرته روعة قصرك يا ميردويك."

ابتسم هذا الميرد بفخر وقال "أعظم بناء في أوروبا ولا يفوقه في العالم إلا أعمال الفراعين. يبدو أنني سأقضي معك حديثا جميلا يا سيد .....؟"

نظر لي فمّال متسائلا فحتى الآن لم أخبره باسمي ففكرت قليلا إذ خشيت لو ذكرت اسمي الحقيقي أن أجلب على نفسي عداءا من هذا الرجل الفخور فالحرب ضد العرب والمسلمين متأججة في كل أوروبة كما أنني ذاهب لعالم جديد فربما يناسبني اسم جديد أو لقب "يمكنك أنم تدعوني بالباحث."

قال متهللا"الباحث؟ يبدو أن الكويدتش أذهب عقلك. اهتمام آخر مشترك بيننا. سأفتح الباب فورا لضيفك المشوق يا فلامل عسى أن يرطب علي ما تجلبه لي من ملل."

مال علي فمّال هامسا "احذر هذا الرجل فهو زعيم سحرة إيطاليا وقد كان من اتباع بروم جريندل لكنه ليس سيئا للغاية فقط هو ممل جدا في حديثه ولن يتوقف عن التباهي بهذا القصر لساعات طوال جدا. رغم أنه ليس قصره بالضبط وإنما هو مقر مجلس كبار السحرة في إيطاليا وقد بناه من نقودهم."

فتح الباب ودخلنا إلى القصر الرائع الذي أدركت أنه من الداخل أكبر بكثير مما يظهر خارجه.

****

السوق الكبير

قضيت أياما ممتعة في ضيافة هذا الميرد فقد كان شديد الاهتمام بالهندسة وتناقشنا طويلا حول بناء الأهرامات وكيف كان وحول قصره المذهل وحول فنون الهندسة المختلفة وحول لعبة عجيبة لم أفهمها تماما تسمى الكوتشد أو شيء من هذا القبيل لكني أجدت تمثيل الفهم بسهولة فالرجل لا يطلب منك إلا أن تصمت بينما يتحدث هو عنها بلا إنقطاع!

في هذا الوقت كان ملفوف وفلامل يخرجان لشراء الأحجار النادرة والرخام الثمين الذي يأتي للبندقية من كل أنحاء العالم وأصبح لي متسع من الوقت حين ينشغل ميرد للحديث مع الجميلة ليلى فأخبرها بكل ما أعرفه عن السيمياء تلك الدروس القليلة التي حضرتها وأنا طفل للسيميائي ثم تلك التي أصر على إخباري بها حين قابلني وأنا شاب. كان يقول أنه يرى في دوما خليفته الذي يستطيع حمل العبء لولا أنني أرغب عنه. وهو الأمر الذي بهر ليلى كثيرا وكنت سعيد بإبهارها لكنها كانت أكثر إهتماما بالسيميائي نفسه وكيف

عاش وكم كان عمره وتتعجب دوما لمنحه إكسير الحياة للمرضى والجرحى بدلا من أن يحتفظ به لنفسه.

وأخبرتني بالكثير عن عالمهم العجيب الذي يتجه يوما بعد يوم للإختفاء عن أنظار العامة فلا يدري بوجوده أحد.

سألتها ذات مرة لم تكره هي ووالدها ذكر اسم سليذرين بينما لا يخشيان ذكر اسم جريندل؟

كنت مهتما جدا بسليذرين منذ عرفت انه يحدث الثعابين فقد بدا لي الرجل الوحيد الذي يمكنه أن يفسر لي ما حدث عند سيدي السابق

أخبرتني كارهة أن جريندل لم يكن في غاية السوء. فقد كان حريصا على حماية السحرة ورخائهم وأمواله تتدفق على فقراءهم فقد حرص أكثر ما حرص على كسب معركة القلوب لذا لم يخوف أحدا من نطق اسمه. لكن نواياه الشريرة اصطدمت بالكثير من حكماء السحرة الذين ادركوا صعوبة محاربة من هو في قوته ونفوذه فانضم بعضهم له ليحاول نصحه وتغيير أفكاره بما أصبح له من نفوذ لم يحدث له مثيل بين كل سحرة العالم.

وكان من بينهم لفترة قصيرة والدها. إذ كان من اتباع حزب الملك. وهو حزب ضعيف مستهجن بين السحرة يدعو لإقامة دولة للسحرة لها ملك واحد تماثل دول العامة وقد رأوا في جريندل الشخص الوحيد الذي يمكنه تحقيق هذا لكنهم تخلوا عنه بعد المذبحة التي ارتكبها في مدرسة سليذرين.

"ورغم أننا نكره جريندل كثيرا فقد كان له الكثير من النفع وهناك الكثير من الاكتشافات السحرية التي لم يهتم بها أحد سواه وأصبحت اليوم جزءا من حياتنا اليومية كالانتقال الآني عند السفر لمسافات طويلة مثلا. فرغم أن هذه الطريقة مذكورة في كتب قديمة فلم يجرؤ أحد على فعلها قبله حين سافر من فرنسا إلى إنجلترا في غمضة عين لحضور معركة مدرسة سليذرين. وبعدها حرص على أن يعلم الجميع كيف فعلها فلم يكن عنده أسرار كثيرة بل ينشرها فورا بين السحرة. أما سليذرين فهو رجل غامض له الكثير من الأسرار ورغم أنه في الجانب الصحيح لكنه يعلم أكثر من اللازم في فنون الظلام ولم يفهم أحد كيف قتل كل هذا العدد من أعوان جريندل في معركة هوجسميد. لقد تضاءلت

المدينة بعد هذه المعركة وفر منها الكثيرون. لذا فأعداد متزايدة تخشى اسم سليذرين خاصة مع وجود النبوءة."

"أي نبوءة؟"

"هناك نبوءة عن أن سليذرين سيرتكب خطئا يدمر عالم السحرة وأن من دمه سيعم الرعب العالم أجمع."

"أنا لا أؤمن بالنبوءات والعرافة. لا يعلم الغيب إلا الله وحتى السيميائي لم يزعم معرفته بالغيب."

"مثلك مثل الكثيرين من السحرة لكن حتى من لا يؤمن بها تشغل عقله وتداعب مخاوفه."

أنهى التاجران الأنجليزيان أعمالهما في البندقية واستعدوا للذهاب أخيرا لسوق رومية الكبير وكان صبري قد نفد ففمّال أخبرني أننا ذاهبون إليه بعد قليل وكان يقصد بعد أيام قليلة والواضح أنه من النوع الصبور المتأني الذي يسخر من تعجل الشباب أمثالي وأمثال ليلى.

جمعنا في بهو الضيافة بقصر ميرد ربما لعشاء الوداع فقد كانت المدفأة متأججة بنار ذهبية رغم أن الجو لا يحتاج للمزيد من الدفء وأخذ ميرد يصافحنا بحرارة واحدا تلو

الآخر وخصني أنا بأطول وداع فقد وجد في رفيقا يهتم بشغفه بالعمارة لأول مرة منذ زمن طويل كما يزعم.

ثم اندفع ملفوف لقلب المدفأة وابتلعته نيرانها!!!!!!!!!!

صرخت فزعا واندفعت في هلع أحاول إنقاذه لكن يد فمّال كانت أسرع وأمسكتني فنظرت له مصدوما فاستوقفتني ضحكات ميرد الصاخبة المجلجلة؟

"هاهاهاهاه يبدو أنكم لا تستخدمون المدافئ في الشرق. أظنكم تستخدمون الأبسطة الطائرة. لقد رأيتها ذات مرة وكانت تجربة ممتعة. حسنا لا ألومك فلا يوجد الكثير من الطرق بين المدفئات فهي مسألة تحتاج للكثير من الجهد والتجهيز تماما كما يقوم ملوك العامة بتعبيد الطرق ليستخدمها الناس بسهولة. هذه المدفأة هي الوحيدة في البندقية المتصلة بأماكن أخرى خارجها. متصلة بهوجسميد في انجلترا وبالسوق الكبير في روما وبأماكن أخرى من العالم. إنها واحدة من مفاخري وإنجازاتي العظيمة. ببساطة تأخذ حفنة من هذا الغبار وتنثرها في النار وأنت تخطو داخلها وتقول بوضوح سوق روما السحري. من الأفضل أن

يقوم بها فلامل أمامك.....ثم تذهب ممسكا بيد ليلى حتى لا تتوه."

أضاف الملحوظة الأخيرة بخبث لم ينتبه له فمّال لكن وجه ليلى إحمر خجلا مما بدا لي دليلا على ما يطرب قلبي لكن لم يكن هناك وقت للأفكار الجميلة فقد اندفع فمّال وسط النيران وتبعته ممسكا بيد ليلى الرقيقة لأول مرة في حياتي.

كان هناك غبار ونار وفزع وشعرت بجسدي تتنازعه آلاف الأيدي تحاول تمزيقه بمخالب من حديد. وأنه يقذف به ذات اليمين واليسار ثم هويت بعنف على أرض صلبة.

وجدت ملفوف ينظر لي مبتسما "ليست بأفضل الوسائل؟ إنها سريعة وستكون أكثر راحة في المستقبل."

لكنني رأيت نظرة غيرة خاطفة أطلت في عينيه عندما لمح يد ليلى في يدي.

كنا في مكان متسع متسخ لم أصدق أنه السوق العظيم الذي يتحدثون عنه كثيرا. لكنهم يقولون أن كل شيء موجود به وأن السحرة من كل العالم يقصدونه. وحدوثني عن أن فمّال تاجر في لندرة (لندن) عاصمة انجلترا وله حانوت كبير في مكان يسمى دياجون ولذا يأتي لهذا السوق كثيرا لشراء ما

يحتاجه. فائتمنه جودريك جريفندور (لا أدري من أين يأتون بهذه الأسماء العجيبة) على شراء ما يحتاج إليه لبناء المدرسة.

مشينا طويلا في السوق وأنا لا أفهم شيئا مما أراه إلا بعض ما جعل قلبي ينقبض شؤما ومعدتي تتأرجح اشمئزازا.

لكن عيون ملفوف وليلى كانت تتقافز منبهرة على عشرات الأشياء التي يقولان أن لا مثيل لها في بلدهما.

وصلنا لجزء أشد قذارة على جوانبه جدران عالية مقسمة لمربعات كبيرة أسفل كل مربع مسطبة صغيرة يقف عليها أعجب وأبئس مخلوق رأيته في حياتي.

كنت أظن أن عبوديتي سيئة لكن ما رأيته من عبودية تلك المخلوقات القصيرة التي ترتدي أسمالا قذرة لم أر لها مثيلا ولم أتصور مثلها أبدا.

كانت قصيرة ذليلة ذات أنف طويل جدا وأذنان كبيرتان تشبهان أذن الفيل وتتكلم في خنوع وذل.

أشار لها فمّال بكل فخر "هؤلاء هم عمالك. جن المنازل. يمتلكون قدرات مذهلة ويعيشون طويلا في خدمتك هم

وأبنائهم. لكنهم ليسوا جميعا يجيدون كل الحرف فعلينا أن نبحث عن ذات الأصل اليوناني فهم أفضل البنائين"

أخذوا يبحثون حتى وجدوا بعض التجار لكن أسعارهم كانت باهظة فالجن اليوناني مطلوب بشدة ولا يوجد إلا في هذه السوق حتى في اليونان نفسها وكان على ثلاثتهم اختبارها واحدا تلو الآخر بسؤالها أسئلة غريبة باليونانية ليكشفوا المغشوش منها!

سمح لي فمّال بمعاونتهم فذهبت لتاجر آخر ولأنني أعرف عما أبحث فلم أهتم كثيرا باليونانية أو غيرها. إنما كنت أختبر الجني في البناء مباشرة ولله ما أعجب هذا الكائن عاملا مطيعا بارعا سريعا دقيقا. والطريف أنه كلما جعلت أحدها يبني لي شيئا أشار التاجر إشارة واحدة بعصاه القصيرة فعاد كما كان ليتبعه جني آخر. كان بعضهم لا ينفع وبدا سوء عمله وذوقه واضحا ومنهم من يبدو عمله سليم جميل لكن خبرتي تكشف زيفه بسهولة. وكان هناك من بينهم من لا يضاهى في البراعة. وكما أمرني فمّال اشتريت بكل ما أعطاني من المال عمالا وكان ثمن العشرة منهم أقل من اليوناني الواحد!

ثم سمعت صوت فمّال وهو يبحث عني فهرعت نحوه فقال لي "حسنا لقد قارب المال على النفاد وتركت مالفوي يبحث لي عن واحد يجيد النسج والتطريز وهو أندر من حجر الفيلسوف وسيستغرق وقتا ويبذل جهدا فلا يجد المشقة ليلومني على شرائك وعتقك. قد اشترينا نحو الثلاثين. كم أنفقت؟"

"كل ما منحتني إياه."

"أرجو ألا يكون التاجر غشك وباعك أقل من العشرة."

"لقد اشتريت ما يزيد عن المائة!"

"كم؟ هل تمزح؟ حتما هم فاسدون لا ينفعون."

"بل هم في غاية البراعة لكنهم ليسوا يونانيون."

لم يقتنع إلا بعد أن أتى ببعض اليونانيون وبعضا مما اشتريته وأمرهم ببعض الأوامر فلم يجد فارقا كبيرا بينهم.

"حسنا. لم يصلوا لسرعة اليوناني ودقته لكن العدد يعوض هذا ويزيد عنه. وحتما ستحتاج المدرسة لعدد كبير منهم لخدمة الطلبة والأساتذة."

وأتى ملفوف متهللا فقد عثر على جني يجيد الحياكة أخيرا وازداد تهلله بعد أن علم بأمر صفقتي واعترف أخيرا أنني كنت صفقة رابحة لجودريك وسليذرين أصدقاءه.

"إن كان أولئك العبيد لا يجيدون الحياكة فكيف أنجزتم هذا السجاد الرائع في قصر ميرد؟"

"هناك تعاويذ وسحرة متخصصون. أعمال الجن في الحياكة غير هامة لكن المشكلة أنك إذا منحت جنيا ملابس فقد أصبح حرا لذا أتحايل على هذا بحيلة ابتكرتها فأشتري جني حائك وآمره بحياكة ملابس بالشكل الذي ابتغيه بدلا من هذا المنظر القذر الذي لا يليق بالكبراء."

"أليست في النهاية ملابس تمنحها لهم؟"

"هم أغبياء لا يفكرون كثيرا في غير طاعتنا كما أنهم لا يحبون الحرية."

لا أتصور مخلوقا واحدا لا يحب الحرية بعد أن ذقت طعم العبودية لكني لم أجادله.

جمع هذا الجيش الغريب من الجن وأمرهم بالذهاب إلى قصر جودريك جريفندور شمال هوجسميد.

وفي لحظة اختفوا جميعا بفرقعة هزت السوق بأكمله.

نظرنت مندهشا فقالت ليلى بالعربية التي لا يجيدها غيرها"إنه الانتقال الآني. أنت نفسك قمت به أول يوم قابلناك فيه. نحن تعلمناه من الجن وهذا فن يفوقوننا في بمراحل فهم يستطيعون الانتقال بسهولة وحرية ولمسافات بعيدة. ستتعلمه يوما حين تسافر معي...أقصد معنا."

قالتها بالعربية حتى إن تراجعت عنها. (معي) الرسالة واضحة ومشجعة. يبدو أنني عثرت أخيرا على شريكي في الحياة.

****

الرقم المنحوس

ظننت أن علينا العودة الآن إلى القصر ومنه إلى تلك المدينة المسماة هوجسميد لكن فمّال ذكرني بالرخام والمرمر الذي اشتروه فلا يمكن نقل كل هذه الكمية عن طريق المدفأة طوال المسافة إلى إنجلترا وليس من الآمن نقلها بأي طريق سحري معروف لهم لأنها قد تتعرض للنهب إن وصلت لمكان آخر

"الطرق وشبكات الانتقال ضعيفة ومهترئة وهي تحتاج إلى سلطة قوية موحدة لضمان سلامتها....."

قال ملفوف "لا داع للخطب الملكية الآن أخبره بما تريد وأسرع."

أكمل فمّال متجاهلا ملحوظته " القليل الذي نستعمله الآن أنشأه جريندل لخدمة إخوان المجد ورغم أن الجماعة سحقت ومحيت حتى من كتب المؤرخين الذين لا يجرؤون على تحدي الأربعة العظام فمازال لها أذيال تبغض الأربعة خاصة من طائفة الحداريم ولن يتوانوا عن تدمير الشحنة أو سرقتها كإنتقام تافه لا يملكون سواه لكنه يضرني ويضر

بسمعتي كأحد أكبر تجار دياجون. لذا يجب أن ننقلها بالطرق العادية بشحنها."

أكمل ملفوف بنفاد صبر "يجب أن يذهب أحدنا على الأقل مع السفينة المسافرة لإنجلترا لنقل البضائع بينما ينتظرها الآخرون في المرفأ لحمايتها بمجرد نزولها. ونريدك أن تكون هذا المرافق."

كانت تجربتي اليتيمة مع البحر من السوء حتى أنني رفضت رفضا قاطعا "لا لا لا لا وألف لا!!!!! أنا أصاب بدوار البحر كما أنني أكره السفن وأخيرا فإن عربي وحيد وسط بحارة يعملون أغلب الوقت في نقل الصليبيين للشرق لن يكون آمنا أبدا."

رد فمال بتردد "الأمر سخيف حقا لكن هناك بعض العلامات والخرافات التي يصدقها العامة والسحرة وقد يرفضها البعض مثلي لكنه يحسب حسابها."

"لا أفهم؟"

قال ببطء وتردد"لا أعرف كيف أصيغ الأمر لك ولكن ربما يمكنني أن أقول لك شيء ما ....."

قاطعه ملفوف بنفاد صبر مرة أخرى "فلامل قام باثنا عشر رحلة بحرية من قبل وهذه ستكون رحلته الثالثة عشر وهذا الرقم 13 يتوهم البعض أنه منحوس ويجلب الشؤم. هو لا يهتم بهذا كثيرا لكنه منذ بداية رحلتنا هذه وهو قلق على تجارته فربما يجتنبه الزبائن خشية نقل النحس لهم. بينما يجب عليّ أن أرحل فورا إلى هوجسميد ولا يمكن لليلى أن تذهب وحدها رغم أنها كثيرا ما تسافر وحيدة بالطرق السحرية فهي ساحرة قوية جدا ومولعة بالجري وراء أوهام السيميائيين العرب السخفاء كحجر الفيلسوف هذا. لذا لا يبق سواك بما أنك ظهرت كنجدة من السماء." (فهمت ما بين السطور هو يقصد أنها ساحرة قوية لن تستطيع خداعها ولا تلق لك بالا إلا بسبب أكذوبة الحجر أيها النصاب)

"ولماذا لا يذهب فمال مكانك وتذهب أنت بالبحر؟"

رد بعصبية "لأنها ستكون المرة رقم ثلاثة وعشرين لي وهو رقم يتعارض مع برج حظي!!!!!!!"

"حسنا وستكون مرتي الثانية وهو رقم خطر على برج عمري. ما هذا السخف؟ أوجب عليكم أن توقفوا حياتكم عند رقم معين لا تتجاوزوه خشية الشؤم! أنا لا أجيد ركوب البحر

وحياتي ستكون مهددة وسط البحارة غلاظ القلوب. وسيحتم عليكم ذات مرة تحطيم أرقامكم السخيفة هذه."

لم ينتظر ملفوف اللعين ووضعنا أمام الأمر الواقع وبدون كلمة واحدة اختفى بفرقعة مشابهة لتلك التي قام بها الجن!

وكان من الصعب علي إقناع فمّال التاجر الحصيف الذي يهتم بزبائنه كما أن رجاء ليلى أذاب مقاومتي فورا وأخبرتني أنها ستتابع السفينة بالمقشة الطائرة لتحرس البضائع الغالية.

وهكذا رحلت معها فوق بساط طائر قديم استعاروه من صديق قديم لفمال في السوق بعد أن كدت أموت فزعا فوق تلك المقشات المجنونة التي حاولوا إقناعي بركوبها دون جدوى.

في الطريق نحو البندقية ونحن نسرع للحاق بالسفينة المنتظرة في الميناء أخبرتني بالكثير عن عالمهم وعن نظم السحرة والمدارس والمواد التي يدرسونها وأنا أحاول أن اختزن كل هذا في ذهني لتخرج المدرسة التي سأبنيها على خير وجه

كما أخبرتني بالمزيد عن رياضة الكويدتش ويعلم الله أني أخذت في اتقان اسمها جهدا أكبر من فهمها لكن من الطريف

أني فهمت أخيرا لماذا تصور ميردويك هذا أنني من محبيها فأحد لاعبيها يسمى بالباحث.

كان البساط ومقشتها سريعين حقا فلم نلبث كثيرا قبل وصولنا للبندقية ربما أقل من اليوم وأخبرتني أنها مقشة من نوع نادر جدا لشجرة تنمو في مكان واحد من العالم وهي سر عرفته أثناء ترحالها ولا تطلع أحد عليها فهي تقوم بصنع بعض المقشات وبيعها بأسعار باهظة تكفيها في أبحاثها الكثيرة عن حجر الفيلسوف. " لكن للأسف فتلك الشجرة السحرية تنمو بأعداد قليلة وليست كل أغصانها صالحة وتحتاج لمعالجة خاصة مرهقة فلا أستطيع صنع أكثر من واحدة في العام لكنها تكفيني. وأفخر دوما بكوني صاحبة أسرع مقشة في العالم. لكني سأبطيء كثيرا لأحرسك من السماء."

" كالملاك الحارس ؟."

ضحكت ضحكة صافية ثم أشارت بعصاها للبساط فهبط

"سنزل هنا ونكمل على أقدامنا فمن الخطر أن يشعر الناس في المدينة بوجود سحرة."

****

كلمة السر (كويدتش)!

منذ اللحظة الأولى التي تلاقت فيها أعيننا حتى تابدلنا عدم الأرتياح

كان قبطان سفينة الشحن رجل سمج فضولي كثير الأسئلة يمتاز بتعصب ممقوت فكان يرى كل من ليس من أهل قبيلته (فهمت أنه ينتمي لأهل الشمال الأقصى الذين يسمون (الفايكنج) وهم قوم غزاة قساة ضاعت ريحهم منذ زمن) كان يرى الآخرون حمقى كسالى أقل من الدواب لكن بالنسبة لي كان هذا أمرا طيبا لأنه لم يفرق بيني وبين غيري ممن معنا على السفينة فلم أتعرض للمشاكل بسبب كوني عربيا وهكذا فعلى الأقل آمن على حياتي منه. كما أنه كان جشعا يطلب المال باستمرار وأتجاهله مصرا على المبلغ المتفق عليه من قبل

لكنه كان بحار بارع ما في ذلك شك وكان خبيرا بقراءة النجوم ومعرفة الأتجاهات وهو أمر اقدره لاحتياجي الدائم له ليس فقط لأغراض البناء والمعمار وإنما لحاجاتي لمعرفة

القبلة خمس مرات في اليوم فكنت دوما اسئله عنها كلما تغير اتجاه السفينة

لم يكن يرى في غير واحد من زبائنه يدفع بسخاء ويطمع في الضحك عليه ليدفع أكثر وهي علاقة تناسبني حيث لا أحتاج لأكثر من التجاهل. وحتما كانت رحلتي هذه أفضل بكثير من رحلتي البحرية السابقة

شيء واحد كان أسوء وهو دوار البحر. أمضي طوال اليوم كالتائه لا أعي ما حولي وتلك الوصفة التي أعطاني إياها فمّال قبل رحيله منحتني ألعن إحساس مر بي في حياتي وزادت الأمر سوءا ورغم أنها أوقفت القيء المستمر لكنها استبدلته بصداع مروع وبإشمئزاز من كل صنوف الطعام التي لا تبقى في أمعائي إلا بضعة دقائق تسارع بعدها إلى الهروب من أي طريق! وقمت بإهداء باقي الزجاجة إلى الأسماك بمنتهى السرور!

كان من المفترض وحالي هكذا أن أمضي الرحلة في الفراش لا أغادره لكن كان هناك أمر يتواثب في صدري يدفعني دوما لكي أجول بعيني عبر السحب بحثا عن ليلى ومضت ثلاث ليالي كاملة حتى رأيتها فوق مقشتها المتميزة وكدت أن

ألوح لها كطفل أبله لولا بقية من عقل استعادت زمامي كي لا أنبه البحارة.

كان بين المسافرين معنا فارس إنجليزي بغيض حقا وبارد كالجليد يكلمك من طرف أنفه بمنتهى الكبر ويطلق عليك ألقاب الإهانة وعلى وجهه نظرة هادئة كأنما يتحدث عن أنواع الخضروات التي يفضلها لبن أحد أصدقاء أبناء عمومته! منذ سقوط الرها وهناك دوما من يسعى لإهانتي لكنهم إما غاضبون ثائرون أو ساخرين شامتين أما هذا البرود العجيب الذي يجعله يتكلم بنفس الطريقة عند الغضب والسرور والإهانة والتقدير فلم أر أعجب منه بين صنوف البشر.

ولم يكتف بهذا بل أخذ يتعرض لي في كل مناسبة وأظن أنه كان يحرض بعض البحارة على قتلي.

حقا ندمت على إلقائي زجاجة الوصفة اللعينة في البحر فقد كانت هدية قيمة له على الأقل كنت سأرى شيئا مختلفا على وجهه الجامد حينما تتصارع أمعائه معا.

لكني تصرفت وأهديته هدية لا بأس بها من الأشياء القليلة التي وجدتها في مطبخ السفينة ودسستها في قنينة خمره

التي لا يفارقها وأقول لكم شأنني ارتحت منه إلى نهاية الرحلة إذ لم يغادر حجرته إلا لتلبية نداء الطبيعة قبل أن يعود لينام باقي النهار

على الأقل لقد أثبت لي أنني أمتلك روح السيميائي الناجح!

وصلنا أخيرا إلى أرض انجلترا التي يسميها البعض جزيرة الملائكة وصعد فمّال يستقبلني وينقد القبطان باقي أجره وجاء بعربات تحمل الأحجار والمرمر.

"كل هذه العربات لابد أنها ستكون قافلة كبيرة يا فمال العزيز."

"ليست سوى ثلاث عربات تنقل البضائع لتلك الدار حيث يقوم مالفوي بنقلها بالسحر إلى هوجسميد."

مضيت معه إلى الدار لأجد مالفوي هناك فبادرني "كيف كانت رحلتك."

"شنيعة وزادتها وصفة فمال سوءا."

ضحك وقال "هو ليس بموهوب في الوصفات لذا جعلني أعدها لك خصيصا. لكن يبدو أنك لست قويا بما يكفي لتحمل الأصناف الجيدة!"

ابتلعت شماتته وفي ذهني أن أردها له ذات مرة حينما أتتني الضربة الثانية

فقد أتت ليلى وبسرعة توجهت نحوه وسألته "كيف انتهت المباراة؟"

"فاز اسود جريفندور فوزا ساحقا."

"احك التفاصيل لكن أولا كيف انتهت مباراتك يا أبي."

قال بسعادة "سيقابل فريق نسور الملك أسود جريفندور في النهائي. فزنا بصعوبة وبعد مباراة مذهلة استغرقت يومين كاملين قبل أن يحسمها جريجوري فلامل بتصديه لتسعة هجمات متوالية في الوقت الذي أمسكت إيزابيلا دووم بالكرة الذهبية. لا يمكنني أن أتصور أنني كنت سأفوت هذه المباراة التاريخية."

تدخلت بغضب "إذا فالمباراة هي التي ورطتني في هذه الرحلة الشنيعة وليس رقمك المنحوس."

"آه احم حسنا. ليس بالضبط. ليس من المفضل الأتيان بعمل منحوس قبل مشاهدة المباراة النهائية و....."

ابتلعت الاهانة صامتا لأن ليلى تدخلت وعرضت علي مرافقتهم لمشاهدة النهائي. الواقع أن لليلى تأثير عجيب فكل

ما تقوله يقنعني ولو أنني مازلت أرفض استخدام العصي السحرية رغم إلحاحها علي أن أحاول.

جلست جوارها وسط زحام المتلهفين على مقعد للمشاهدة ولم أر في حياتي مثل هذا الحماس حتى في مبارزات الفرسان

"لم أرك قبل ثلاثة أيام من الرحلة أين كنت."

"ذهبت لإعادة البساط لصاحبه واستغرقت بعض الوقت للعثور على .....لحظة هل رايتني؟"

"نعم في الليلة الثالثة كان بالساء قمرين أحدهما يركب مقشة."

إحمر وجهها لكنها تجاهلت الأمر وقالت "غريب حقا هذه هي المرة الثانية. لقد استخدمت واحدة من أفضل تعاويذ الإخفاء والتي تنجح حتى مع السحرة البارعين."

لكن المباراة بدأت فقطعت حديثها

****

كويدتش كويدتش والمزيد من الكويدتش

اللعبة كما فهمت تتكون من ثلاثة مهاجمين يتقاذفون كرة كبيرة واثنان من المدافعين يحاولون إصابة مهاجمي المنافس بكرتان أصغر وباحث يطارد كرة ثالثة ذهبية صغيرة جدا لا أفهم لماذا وما علاقتها بالباقين لكن أظن أنها وسيلة إنهاء المباراة فإذا كنت مهزوما فيجب أن تمنع خصمك من التقاطها حتى تتحسن النتيجة وإن كنت فائزا فأمسك بها واربح المباراة. لكن ماذا يحدث إن كانا متعادلين لا أفهم

والسابع هو الحارس الذي يقف أمام الأطواق يحميها من الكرة

لكن الأطواق عالية جدا فتعجبت كيف يستطيعون الوصول لها

وجاءت الإجابة فهم يلعبون اللعبة في الجو وهم يطيرون على المقشات الطائرة.

أربعة عشر لاعبا تعلو وجوههم الندوب وتمتلئ ملامحهم بالشراسة اندفعوا طائرين ليبدءوا في أعنف لعبة رأيتها في حياتي.

بدء اللعب هادئا وممتعا هجمات من فريق يرتدي الأزرق تشجعه ليلى وملفوف على الأصفر الذي يشجعه فمال فتصدى لها الحارس الواحد تلو الآخر.

ثم نجح الأصفر في إحراز هدف تلاه ثاني وتصدى لهجمات أخرى وبدء اللعب الخشن

ضرب وتلاحم وتعاويذ متبادلة لم يتدخل أحد للتصدي لها إلا بعد أن أخطئت أفادا كاديفرا أحد اللاعبين ونسفت أحد أطواق الفريق الأصفر فتدخل منظمو البطولة لتهدئة غضب الفريقين فاشتعل شجار رهيب بين الجمهور كان أشبه بمعركة حربية امتلأت بالجرحى قبل أن يطلق أحد النبلاء حزمة من الديمنتورات لامتصاص حماس الجمهور!

ولم ينجح الأمر كثيرا لكنه كان كافيا لاستئناف المباراة فعادت الجماهير لمقاعدها مسرعة لمشاهدة معركة اللاعبين الذين تعهدوا بعدم استخدام التعاويذ القاتلة.

وعدة هجمات متتالية للأزرق يتصدى لها حارس الأصفر فأخرج أحد لاعبي الأزرق عصاه وتلا تعويذة على الكرة الوسطى التي يسمونها بلادجر وأطلق عليها تعويذة وأطلقها فاندفعت تضرب كل اللاعبين الصفر الذين حولها ومنهم الحارس الذي سقط مضرجا بالدماء

واندفع مهاجمو الأزرق لاحراز هدف لكن الكرة المجنونة ضربتهم أيضا وسقط صاحب التعويذة وقد ذاق من نفس الكأس!

وبدا أن النصر سيكون من نصيب الصفر إذ رأى باحثهم الكرة الذهبية وأسرع نحوها لكنها كانت قريبة من مقاعد متشجعي الأزرق الذين قذفوا بكل ما في أيديهم عليه فتراجع متألما واختفت الكرة

وإذا بواحد من مشجعي الأزرق يركب مقشته ويطير نحو باحثهم يطلبه بالامساك بالكرة فهي جواره لكنه تخطى حدود الملعب فأصابته تعويذة صعق من منظمي المباراة.

واندفع نحوها الباحث الأزرق وتعجبت فهذا معناه انتهاء اللعبة بهزيمتهم وعلى أي حال لم يتركه لاعبو الأصفر فقد

أطلق أحدهم عليه البلادجر المجنونة لتخرجه من الملعب وتندفع نحو الجمهور تدق عظامهم وتنشر بينهم الفزع.

وأسرع أحد الجماهير فأطلق تعويذة قوية فجرت الكرة فتوقفت المباراة لحين إحضار كرة جديدة.

توجهت نحو منظمي المباراة وقلت لهم (كانت انجليزيتي الآن جيدة جدا) "لماذا لا تقيموا حكما بين الفريقين ليقلل العنف والاعتراض بينهما؟"

فإذا بهم يدفعونني وسط الملعب فوق مقشة ويعلنون للجمهور عن العثور على حكم جديد!

واندفعت نحوي ليلى وهي فزعة وتقول "هل جننت ماذا تفعل؟"

"لم أفعل شيئا كنت أقترح تعيين حكم لكنهم دفعوني لهنا وأحاول إفهامهم أنني لا أعلم كل قواعد اللعبة و....."

"لن يهتموا فالعثور على حكم بديل مسألة صعبة لأن آخر خمس حكام في المباريات الماضية قتلوا على أيدي الجماهير!"

"ماذا لكن. سأنسحب."

"لا تستطيع فبمجرد دخولك على المقشة تكون وقعت عقدا سحريا يسبب لك لعنة مدمرة إن خالفته والحل الوحيد أن تجد لك بديلا سأقف مكانك."

"كلا وألف كلا يا ليلى لأن أتأذى أنا خير من أن يصيبك سوء. سأتصرف."

"إذا فأول شيء تفعله أن تأخذ عصاي واحفظ هذه التعويذة لصعق كل من يقترب منك بترفيكس توتالس."

طبعا لم أفهم منها شيئا لكني طلبت منها أن تذكرني سريعا بقواعد اللعبة وبكيف أركب المقشة

لكنهم عثروا على بلادجر بديلة فأسرعت ليلى تغادر المكان بمقشتها السريعة لا أعلم إلى أين.

فكرت قليلا ثم أمرت اللاعبين بالتجمع وقلت لهم "سنلقي بجميع العصى السحرية خارج الملعب."

قال أحدهم بتحد "إذا ألقيت أنت عصاك."

ألقيت عصا ليلى بسهولة فلا فائدة لها أصلا معي ونظروا لي مندهشين فالساحر لا يستطيع السير دون عصاه كما فهمت. تماما كما يمشي الأعراب بالسيف أينما حلوا في بلادي

ألقوا عصيهم واحدا لتو الآخر ببطء ونظرت للذي تحداني وكان مترددا حقا في التخلي عن عصاه وكان وجهه مهشما فعرفته "أنت الذي أصبت الكرة بالجنون؟"

"نعم هل يوجد لديك اعتراض؟"

"اريد أن تصيب كلا الكرتين الجديتين بالجنون!"

أطاعني في حبور قبل أن تكتمل صرخات اعتراض زملائه فقد كان متحمسا للاذى بصورة غير عادية

وطرت بمقشتي (ولحسن الحظ كانت بطيئة جدا) وأنا أترنح محاولا الحفاظ على توازني وأشرت لهم لبدء اللعب وانتقيت لنفسي مكانا عالي وسط الملعب بعيدا عن أيدي الجماهير المتعطشة للدم.

ونجحت خطتي بعض الشيء فالكرات المجنونة امتصت حماس اللاعبين للعنف بعض الشيء وأصبحت في غياب عصيهم السلاح الوحيد في الملعب فتراجعت الدماء قليلا!

لكن الجمهور كان كثير الاستهجان والاعتراض علي رغم أنني لم أتخذ أي قرارات أصلا واكتفيت بالمشاهدة من أعلى!

واشتعل اللعب بنجاح الزرق في تسجيل هدفين مستغلين إصابة حارس الصفر الذي أبطأته الضمادات الكثيرة التي لفت حول ضلوعه.

ثم حاول في هذا الوقت الحرج باحث الصفر الإمساك بالكرة الذهبية فثار جمهور الزرق واندفع عدد كبير منهم يخترقون المنظمين ويدخلون لقلب الملعب يريدون الفتك به لكن أحد مدافعيهم ضرب البلادجر المجنونة نحوهم فتشتتوا في كل اتجاه ولو أن أحدهم ألقى بتعويذة أفقدت الباحث وعيه فأوقفت المباراة لعلاجه

وكأنني أشعلت حربا فقد اندفع الجمهور من كلا الجانبين نحو الآخر يضرب ولقي التعاويذ وأقسم أني رأيت سيوفا تخرج تبغي رأسي!

لكن الكل صمت وتجمد فجأة وقفوا ينظرون في اتجاه واحد فنظرت له فرأيت ساحرا عجوزا يركب مقشة ذات لون ذهبي لامع وتلتف حول عنقه أفعى كبيرة يأتي نحوي وخلفه ليلى وقف هذا الساحر وسط الملعب وهتف بصوت زلزل أركانه "كل يعود لمكانه لنستأنف اللعب."

"لن نقبل بك حكما يا سلازار فالكل يعلم صداقتك للجريفندوريين."

نظر سالازار سليذرين العظيم للمحتج نظرة واحدة فابيض وجهه وجلس صامتا.

"سأشاهد مع أصدقائي المباراة أكمل أيها الحكم ما كنت تفعله فأنت تبلي بلاءا حسنا."

وهكذا أكملت ما أفعله من عدم فعل أي شيء

واستمرت المباراة في هدوء والكل يختلس النظر في خوف لسلازار حتى أمسك أخيرا باحث الزرق بالذهبية وكانوا متأخرين بنقطة فأشرت بانتهاء المباراة بفوز الصفر فانهمر فوق رأسي الطماطم الفاسدة والبيض وعشرات الأشياء العجيبة التي لا أفهم كنهها من الجانبين.

لم أكن أعرف أن الامساك بالكرة يساوي خمس عشرة نقطة وأن الزرق فازوا فأثرت غضب الفريقين

أما سليذرين فرأيته يغادر وهو ينفجر من الضحك على مشهدي

وأسرعت أهرب بعصاي البطيئة لكنهم لم يطاردوني طويلا فقد أراد الجميع بلا استثناء مشاهدة تسليم درع البطولة العجيبة.

****

الموقع المميز

بعد المباراة العصيبة لم يكف فمال وملفوف من الضحك علي وفي نفس الوقت كانا يحسدانني على المكان المميز الذي شاهدت منه المباراة

"لحسن حظك أن ليلى وجدت واحدا من الأربعة لينقذ حياتك."

قالت ليلى "حينما رأيت سليذرين أدركت أنه الوحيد القادر على هذا فالكل يخشاه وقد استجاب لرجائي لحسن حظك."

ها أنا ذا أدين لسليذرين بحياتي قبل أن أقابله. هذا الرجل يجذبني له دوما

من الغريب أن من رأيتهم يتقاتلون حتى الموت أثناء المباراة كانوا يمضون الآن معا في سعادة كخير الأصدقاء

يبدو أن عالم السحرة هذا غريب حقا ولن تنتهي عجائبه أبدا.

مضينا طائرين هذه المرة نحو هوجسميد فقد كنت أتعلم مضطرا الطيران على المقشة لأنه كما قال لي ملفوف

والسعادة تقطر منه "من الخطر أن تري وجهك لأحد لمدة ثلاثة أيام على الأقل."

ثم فجأة رأيته

ربوة عالية جوار بحيرة متلألئة على حواف غابة مظلمة

لا يمكن أن أجد مكانا خير من هذا

هبطت فجأة فتبعوني مندهشين

"هذا هو."

"ماذا؟"قالت ليلى

"هنا تبنى المدرسة هذا الموقع هو الأفضل ."

قال ملفوف بانزعاج "كلا كلا. المدرسة ستبنى في هوجسميد."

"لا ستبنى هنا."

قال فمال "المكان يختاره الأربعة."

"لقد رأيت هوجسميد ليلة أمس ولا أراها مناسبة للمدرسة العظيمة فستكون مدرسة لكل العالم وليس لأبناء هوجسميد فحسب. هي تحتاج لمكان واسع ولبحيرة قريبة يقضي على ضفافها الطلاب أوقات فراغهم وإلى غابة تعيش فيها حيواناتهم السحرية بأمان لا يوجد مكان أفضل من هذا."

تجاهلوني وأكملوا الطريق فيجب علي مقابلة الأربعة غدا صباحا لكني قضيت الليل كالمحموم أرسم القصر الذي سأبنيه لتوضع في هجوورتس الجديدة

في الصباح أسرعت معهم لمقابلة الأربعة أخيرا ويبدو أن أنباء المباراة قد سبقتني فقد استقبلني جميع المعلمين والطلبة في مدرستهم استقبالا ساخرا حافلا وهم يقلدون حركتي الأخيرة التي أشرت بها لفوز الفريق الخاسر.

أتى نحوي رجلا يرتدي السواد وقال "أهلا بالحكم العجيب ماذا تريد."

قال ملفوف "أين الأربعة."

"لماذا ستدخل عليهم بهذا الأحمق يا مالفوي."

"إنه المهندس الذي سيبني المدرسة الجديدة."

"لم أعلم أنهم بحاجة لمهندس. على أي حال مرحبا بك أنا سكريجمور هافلباف استاذ الوصفات هنا والمساعد الأول لسليذرين في مدرسة فنون الظلام ..... وزوج هيلجا هلفلباف."

ثم قادنا بهدوء لحجرة الأربعة وخرج ليكمل عمله

كنت قد رأيت سليذرين من قبل ومع هذا فقد كان أكثر من جذب أنظاري فقد كنت أود حقا الانفراد به لأقص عليه قصتي مع تلك الأفعى عند سيدي القديم

لكن شيئا ما فيه لا يوحي بالثقة. أفهم لماذا يخشى الجميع سليذرين لأنهم يظنون أنه يخفي شيئا ما عنهم انطباع لابد أن يصيبك حين تقابل رجل يتحدث بلغة لا يفهمها غيره وعنده علم غزير لا يحب أن ينقل أغلبه لطلبته.

أما جودريك جريفندور فأنت تعرف في عينيه الشهامة من اللحظة الأولى وأنه على النقيض من سالازار يربح ثقتك من أول نظرة

لكن من أتعبني حقا كانت هيلجا هافلباف فبينما اهتم جريفندور وسليذرين بمعرفة بقية حكايتي التي أخبرهم فمال ببعضها واهتمت روينا رافنكلو بمباراة الكويدتش وبموقفي السخيف الذي لم تكف عن الضحك عليه فقد اعتصرتني هيلجا هافلباف بأسئلة من كل نوع عن تصوري للمدرسة وعن معرفتي بالهندسة والسيمياء والكيمياء ووووو

أعجبهم الموقع الذي اخترته كثيرا لكن جريفندور وسليذرين رفضاه ثم تراجعا أمام إلحاح رافنكلو التي كانت ترى

ضرورة وضع مصلحة الطلبة فوق أي شيء آخر وأحسست أنها تلمح لشيء ما ويبدو أن فمال وليلى أحسا بهذا أيضا فأنصتا باهتمام واضح فطلب منهم جريفندور الخروج لأنهم يريدون مناقشة أمر ما معي

خرجا فقال سليذرين لملفوف أن يلحق بهما

"لكني أعرف بالفعل ما تخفونه."

"وهما لا يعرفان أنك تعرف."

غادرنا فنظر لي الأربعة باهتمام ثم تكلم جريفندور "فلامل يثق بك ولذا فأثق بك أنا أيضا لكننا اتفقنا ألا نخبر أحدا بالأمر إلا إذا أقسم القسم الذي لا ينقض. لذا فأخرج عصاك."

"لا أعرف ما هو هذا القسم لكني لن أؤديه بعصا."

"ولم؟"

"لا أحب العصا. نعم لقد اقتنعت أو أقنعت نفسي بكلمات ليلى عن السحر والسيمياء لكني لا أرتاح مع ذلك لأمر التعاويذ. أنتم تريدون البناء وهو ما سأنجزه أفضل من أي شخص."

بدا الرفض على وجوههم لكن هافلباف أخرجت ورقة من صندوقها فابتسم سليذرين قائلا "هاهي تنقذنا مرة أخرى بذكاءها."

قدمت لي الورقة وقالت "هذا عقد سحري. ستكتب لنا قسمك بكتمان كل ما يدور بيننا من أسرار هنا وإن خالفته فستصيبك لعنة مدمرة."

ثم أخرج الأربعة عصيهم وتلو تعاويذ عديدة على الورقة بعد أن أمهرتها بتوقيعي.

قال جريفندور الذي بدا زعيما عليهم أو على الأقل على هافلباف ورافنكلو "أولا يجب أن تعلم أننا رغم إعجابنا الشديد برسمك للقصر فلن نقبله."

"ولماذا؟"

تكلم سليذرين "لن تكون المدرسة في قصر وإنما في قلعة."

"مدرسة في قلعة من سمع بأمر كهذا."

"أنت بنيت قلاعا من قبل."

"نعم في بلادي."

"ستكون هجوورتس أعظم وأقوى قلعة بنيتها أنت أو غيرك عبر التاريخ."

السر المدفون

كان علي جهد كبير جدا في بداية البناء.
أطعت طلب الأربعة بكتمان ما ذكروه لي تلك الليلة . وفي اليوم التالي بدأنا في العمل.
كان العقد السحري الذي وقعته معهم يقضي بأن أحدا غيري لا يستطيع بناء أي شيء في القلعة إلا بإشرافي ولأنهم لم يريدوا إشراك الجن المنزلي في هذا الأمر فقد بذلت مجهودا خارقا رغم مساعدتهم لي بأنفسهم
كنا نغيب حتى الليل في موقع البناء ونزعم أننا نقيم نموذجا مصغرا للقلعة
بينما كنا منشغلين في الحفر لأعماق بعيدة أعمق من أساستها وبدأت في بناء الحجرة التي طلبوها مني.
"حجرة مستديرة مغلقة بلا مداخل مدفونة في أعمق الأعماق أسفل القلعة"
"وتكون قوية حصينة ممتلئة بالفخاخ والشراك."
"وفي قلبها هذا الصندوق."

أعددت الحجرة ووضعت في منتصفها الصندوق وبحيلة قديمة تعلمتها من أحد أساتذتي اليونانيون جعلت أن الحجرة تنهدم على رأس من داخله إذا أخرج الصندوق منها وقد أعجبتهم تلك الحيلة كثيرا وأكثروا من التساؤل عما إذا كنت أستخدم السحر فيها.

كانت معاونتهم لي قيمة للغاية وانتهيت من العمل بعد أسابيع قليلة وقبل أن أغلق المدخل الأخير للحجرة السرية دخلتها معهم والتففنا حول الصندوق.

أخرج كل واحد من الأربعة عصاه وأخذوا يتلون تعاويذ كثيرة فهمت أنها تفتح أقفالا سحري للصندوق. ثم أعطوني سلسلة من المفاتيح لأفتح أقفالا عادية به.

كان الأمر صعبا واستغرق مني وقتا طويلا لأن كل المفاتيح والأقفال متشابهة لكني في النهاية فتحت الصندوق لأجد داخله صندوقين أحدهما أسود والآخر أبيض.

فتح سليذرين الصندوق الأسود فوجدت به غبارا أبيض خفيف تناثر الكثير منه في جو الغرفة عندما قبض منه قبضة ووضعها في جيبي وأكاد اجزم أنه أخذ يستنشق الغبار المتناثر بقدر استطاعته

"هذا سينفعك كثيرا بعد اتمام عملك كل ما عليك أن تبتلعه."
ثم تراجع الأربعة للخلف قرب الجدار وأمرني جريفندور بفتح الصندوق الأبيض. وأن آخذ ما به وأصنع منه دهانا فتحته فوجدت غبارا ثقيلا أسود لا يصلح لدهان أي شيء فقبضت منه قبضة وأشرت بها لهم "من هذا؟"
فوجئت بهم يجفلون ويتراجعون للخلف حتى اصطدموا للجدار وقال جريفندور "رويدك. هذه هي أخطر مادة في الكون لاتعبث بها."
وتعلقت عيونهم بيدي المحملة بالغبار أما عين جريفندور فقد ملئها التحفز كالمستعد لمعركة لكن عين روينا رافلنكو كانت مملوءة بالقلق والهم وهذا أمر قريب من نظرة هيلجا هافلباف الممتلئة رعبا
أما سليذرين. سليذرين العجوز البارع المظلم. فأقسم أني رأيت في عينيه بريقا جشعا.
إذا فأنا أمسك في يدي مادة شديدة الخطر والتدمير لكنها ثمينة بما وراء النفس. قد يكون الأمر لحظة ضعف لكني فعلتها. لم أعيد كل القبضة للصندوق وإنما تركت حفنة صغيرة أسقطتها في جيبي وسط دنانيري أثناء غفلة منهم.

صنعت دهانا أسود دهنت به أرض الغرفة بأكملها ثم أذبت في قدر آخر منه بعض الغبار الأسود لأدهن به بقعا متعددة من الأرض كما لو كانت نوع من الكمائن لمن يمشي ولا يميز بين الدهانين وهو أمر مستحيل لتطابقهما.

جعلوني أيضا أدهن غطاء الصندوق وبعض أقفاله ثم اقتربوا في حذر بالغ منه وتلوا عدة تعاويذ أضاءت الحجرة من قوتها ثم أطلق جريفندور تعويذة منفردة فظهر طائر بشع الخلقة متجمدا خلف الصندوق وهو يصرخ "الحارس الأول الجريفن."

ثم تبعته هيلجا فأتت بالحارس الثاني التنين المجري. لم أر في حياتي تنينا من قبل لذا ملأني الفضول لأراه وبدا لي حيوانا جميلا وهوينفث النار قبل أن تجمده هيلجا وتصغره لحجم كف اليد.

أما روينا فأتت بنبات عجيب تزعم أنه يلتهم البشر.

وسليذرين طبعا كان حارسه أفعى. ليست أي أفعى بل هي أفعى عملاقة ضخمة يسميها الباسيلك.

ثم أشاروا لي أن أضع حارسا أنا الآخر؟

"أي حارس أنا لا أعرف شيئا من هذا؟"

"اختر أي شيء ونحن سنحضره."

لا أعلم من أسماء مخلوقاتهم المتوحشة الكثير لذا كان الوحش الوحيد الذي تبادر لذهني هو "الديمنتور."

تجهمت وجوههم باستثناء هيلجا فافلباف التي قالت "يالها من فكرة عبقرية! بالطبع حينما يشعر المقتحم بالاحباط واليأس الذي سيبعثه فيه الديمنتور فسيكون في حالة سيئة ولن يستطيع التغلب على دفاعاتنا. لكن يجب أن يكون الديمنتور حبيسا لمكان خفي قريب من الصندوق."

لا أفهم كيف فعلوا الأمر لكنهم استعانوا بالدهات الملوث بالغبار الأسود لإعداد قفص أخفوه داخل منصة حجرية قصيرة ضمن عدد من المنصات التي جعلوها تلتف حول الصندوق كتمويه.

بعد هذا ألقوا بعشرات التعاويذ وزرعوا مئات الأفخاخ الأخرى داخل وخارج الغرفة قبل أن أغلقها ويقف كلا منهم ليلقي بختم سحري على أحد أركانها

كتب سليذرين :لن تجد إلى الفراغ فلا شيء بعده

كتب جريفندور : لن تجد إلا الدمار فلا عمار بعده

كتبت هافلباف : هذا هو الشر الذي لا خير فيه

وكتبت رافلنكو : هذا هو الهزيمة التي لا نصر بها
أرعبتني تلك الكلمات فأخفيت الدنانير الملوثة بإحكام في كيس نقودي ولففتها في خرقة صغيرة ووضعتها بوجل في جيبي.
وأتمم الأربعة أختامهم ثم وقفوا مجتمعين وأخرجوا عصيهم ورفعوها لأعلى وهتفوا بصوت جهوري "ألا فاللعنة على كل من يأتي هنا يبغي خيرا أو شرا."
قالوها ثلاث مرات وعقب كل مرة يخفضون عصيهم ليخرج منها شرارا ينتشر حول المكان بأكمله.
ثم طلبوا مني أن أذيب حفنة الغبار الأبيض في الماء وأشربها فترددت لأن خبرتي بالوصفات كانت مروعة لكنهم أصروا ففعلت غير أني احتفظت بذرات قليلة معي فلم يمانعوا.
كان الطعم مرا جدا وشعرت أن حلقي يجف بشدة وأن الماء يخرج من كل أنحاء جسدي كأنه ينبوع رغم أني لم أر شيئا ولا حتى ذرة عرق ثم علتني رجفة غير عادية فنظرت مستغيثا لهم لكنهم انشغلوا بتكرار لعنتهم ثلاث مرات أخرى

ولا أدري أكانت هلوسة أم لا لكني التقطت كلمات من فم سليذرين تختلف عن باقي الأربعة.

كلمات لم يفهمها غيري أنا وثعبانه الأثير.

****

القلعة الشامخة

كان بناء القلعة أمرا شاقا لكنه يمضي بسرعة مذهلة. فقد كان علي أن أشرف على كل جزء من عمل الجن الذين يعملون في مهمات متعددة بسرعة تفوق الخيال وينجزون أي طلب في لحظات ولكن تبعا للعقد السحري الذي وقعته مع الأربعة فيجب أن أشارك على الأقل بالاشراف في كل شيء. وأي شيء أتركه ينهدم لحاله.

ومما زاد الأمر مشقة الطلبات المتتالية للأربعة "أضف لي سلالم هنا أجعل هناك بوابة مسحورة؟ نحتاج لملعب كويدتش أكبر بكثير. لابد من بناء كذا وكذا وكذا. غير هذا التصميم إلى كذا وكذا."

طلبات لا تنتهي وبعضها يكتمونه عن بعضهم البعض

فمثلا جريفندور طلب عمل حجرة سرية خاوية من أي شيء ولا منفذ لها وقال أنه سيجعلها حجرة طلب مثل التي كانت موجودة في ملاعب قصر جودرك فريدريك جريفندور الأكبر (هكذا قال) لكنها أفضل وأقوى سحرا.

روينا العزيزة كانت تخاف دوما من الحداريم رغم أن شوكتهم انكسرت ولم يعد منهم إلا قلائل تلتف حول ملوك العامة بحثا عن المال والأمان لكنها لم تنس أبدا مذبحة مدرسة سليذرين لذا جعلتني أحفر أنفاقا سرية متعددة تصل ما بين المدرسة وأماكن أخرها بعضها لهوجسميد.

ولأنها كانت من أطيبهم وأظرفهم وأكثرهم شفقة فقد فعلت كل ما طلبته.

هيلجا هافلباف الصارمة اجبرتني على الارتفاع كثيرا بأبراج القلعة وبالذات البرج الشمالي الذي بدا لي مكانا منحوسا.

وغيرها من الطلبات السرية والعلنية.

كلهم يطلبون إلا سليذرين.

برغم من تحذير ليلى فلامل المستمر لي فقد وطدت صداقتي بسلازار حتى أنني أخبرته بأنني أفهم لغة الثعابين وأن الأمر زاد منذ ذلك اليوم الذي شربت فيه المسحوق الأبيض فأخبرني أن هذا المسحوق يضاعف القوى السحرية ويزيدها وضوحا وظهورا.

كان يبدو على سالازار اهتماما متزايدا بي فسرته ليلى بأنه يبغي مني أمرا لن يكون طيبا لكني أظن أنه مهتم بي لأن

السحر لا يعمل معي مثل الآخرين فمثلا بعض التعاويذ لا تؤثر في بينما بعضها الآخر يعمل بقوة أكبر من اللازم كما أنني أقوم دون قصد بالكثير من السحر دون عصا.

أخبرني أن هذا على الأرجح لأنني أملك قوة كبيرة وهذه القوة زادت مع المسحوق الأبيض فإذا أضفنا لهذا أنني أرفض تماما التعامل بالتعاويذ والعصي المسحورة فإن قوتي تبحث عن مخرج لها حينما تريد ان تطيع ذهني خاصة في المواقف الصعبة "يحدث هذا كثيرا بين الأطفال الذين يولدون مع العامة فحينما تتهدد حياتهم أو يتعرضون لغضب شديد يحدثون بعض السحر الذي ينقذهم ولكن حينما يكبرون ويستخدمون العصي السحرية ويعتادون عليها فإنهم يفقدون هذه القدرة إلا من أمور نادرة. وممارسة السحر بغير عصا بين البالغين تعد أمرا عجيبا حقا لكن لأنك معتاد على هذا فقد تطور الأمر فيك كثيرا."

ومضت الأيام وصداقتنا تتزايد. وعلم باهتمامي بعلوم السيمياء فساعدني كثيرا في دراستها ومنحني بعضا من كتبه النادرة التي كان قد كتبها عددا من اساطين الحداريين في العصور الغابرة. ثم تناقلت لتلاميذ جهلة لم يقدروها. كان

يتحدث دوما في حسرة عن الكم الهائل من العلوم الذي ضاع عبر الزمن.

"مثلا الفراعنة الذين أتيت أنت من بلادهم كانوا يمتلكون علوما مخيفة لكن أغلبها ضاع بسبب ضعف التلاميذ ونظام الحداريين البالي. هذه الكتب بها علوما مهولة لكنها صعبة للغاية فهي غير مرتبة وتتحدث عن الكثير من الأشياء في آن واحد ويتوه فيها الطالب فيرغب عنها. لكنك لو صبرت عليها فستجد فيها في السمياء بالذات أشياء تفوق الخيال."

وهكذا ضاع وقتي بين محاولاتي للدراسة وانشغالي في البناء وسعيي الدائم لزيارة فمّال - آسف فلامل كما دربني سليذرين لا أدري كيف كنت سأستطيع نطق تلكم الأسماء الصعبة لولاه - فأسعى دوما لزيارة العزيز فلامل أثناء انشغال السخيف ملفوف أو مالفوي هذا بأمر ما.

كنت قد أدركت أنني غارق في عشق ليلى وأوقن أنها تحبني لكني أظن أن مالفوي ينافسني ببغض عليها. ولاحظ والدها هذا الأمر ولاحظت أنه يعرف لكن يبدو أن ليلى لا تدرك مقدار فطنة أبيها فتتكتم الأمور والصراعات بيني وبين مالفوي عنه غير مدركة لأنه يعلم كل شيء.

وقد ساعدني سليذرين كثيرا فقد كان يرسل مالفوي دوما لمهام بعيدة ليخلو لي بيت آل فلامل مع الصديق والحبيبة.

وذات يوم كنا نتجاذب اطراف الحديث بلغة الثعابين.

كان الأمر مهما جدا لسليذرين فقد كان يحب أن يحادث شخصا خارج عائلته يشكو له همومه وغيرها من الأمور التي لا يرغب في اطلاع أبناءه عليها بلغة لا يعرفها من حوله ولا يفهمونها. وكان هذا من الأسباب التي ضاعفت مقدار الصداقة بيننا.

أخذنا نتحدث عن الذكريات وعن تلك الحجرة المدفونة في الأعماق فأخبرني بأنه قلق بشأنها كثيرا

"عزيزي إن الصندوق المدفون هناك أخطر مما تتصور حتى أننا قررنا بناء قلعة للسحرة يتوارثها الأجيال فوقه لتحميه لكن فكرة دفنه وتركه دون مراقبة مسألة تقلقني."

"إنه محمي بما يفوق الخيال."

"ماذا عن بعد ألف عام؟ ربما يأتي من يمتلك المعرفة والقوة اللازمتين للعثور عليه وتدمير الدفاعات. أنت لا تدرك كم يبلغ هذا الصندوق من خطر. ولا يمكنك أن تدرك ما لم ترى بعينك. بل إنك حتى لم تتأثر كثيرا بالمسحوق الأسود."

هنا غلبني الفضول فسألته "ما هذا المسحوق."

"لا أستطيع أن أخبرك فقد عاهدت عهدا لا ينقض. المهم أنه من الخطر بما يكفي لإفزاع أجيال بأكملها. إنه السر الذي سحقنا به بروم جريندل سحقا. كان يعرف بأمر المسحوق الأبيض واستخدمه لمضاعفة قوته بما وراء الخيال لكنه لم يعلم بوجود الأسود الذي لم يعرف به من قبل إلا واحدا من الحداريم الأعظم السبعة الذين تصدوا للأسد الأرقط وحتى هذا لم يجرؤ على استخدامه. لكننا تصورنا أنا بلغنا شأنا فاق أولئك السبعة فاستخدمناه في المعركة الفاصلة مع جريندل. هل تعلم أن ثمانية من رفاقنا أصيبوا بالجنون ولم ينج إلا مالفوي؟ استخدمنا جزءا ضئيلا للغاية فأحدث تدميرا يفوق الوصف."

"لكني أمسكته دون أذى."

"لا أدري كيف. لقد أثر بالطبع عليك لكن التأثير كان محدودا على الأرجح لأنك استنشقت شيئا من الأبيض قبل أن تلمسه."

"ما هو. وماذا يفعل."

"لا أستطيع أن أخبرك."

مضت أيام وفضولي يزداد اشتعالا وفي النهاية أخبرت سليذرين أنني وجدت حلا يطمأنه على الصندوق

"ليس الصندوق نفسه وإنما الجدار الخارجي للحجرة. لكن هذا سيكون سرا بيننا. سرا لا نتكلم عنه لأحد أبدا حتى صديقك وحليفك وخادمك مالفوي, بل حتى لهذا الشبح المخلص بيفز."

"أعاهدك على هذا."

"سأنشيء حجرة متصلى بأنابيب القلعة فلا يعلم باقي الأربعة بأمر حفرها. وسأجعل لها مدخلا سريا لا يفتح إلا بلسان الثعبان"

"سأسميها حجرة الأسرار,"

"لا بأس يا سليذرين. اسم مناسب. ستكون ضخمة وبها متاهات كبيرة تصلِ إحداها حتى جدار الحجرة المدفونة فتستطيع الاطمئنان عليها أنت ومن يحملون السر من بعدك كلما أردتم."

وإمعانا في السرية لأنني كنت أخشى كثيرا من أن يكتشف جريفندور ذو الدم الثائر الأمر جعلت المدخل من حمام للبنات!

وهكذا أنشأت حجرة الأسرار ومضيت فيها مع سليذرين حتى الحجرة المستديرة المدفونة فوقف على ركنها الشمالي الذي ختمه بنفسه وأعاد تلاوة تلك التعويذة التي أضافها بلسان الثعبان عندما لعنوا معا كل من يحاول فتحها. فإذا بالختم يتفرق وتتلوى حروفه لتصبح حروفا نارية تقول "ادخل في أمان يا لسان الثعبان."

لم يدخل واكتفى بإلقاء نظرة على الصندوق.

لكني أصبت بالندم حين رأيت هذه النظرة. للمرة الثانية أرى نظرة الجشع في عينيه. وأدركت أنني كنت مغفلا حين تركته يستدرجني لما يريد فأصررت على العودة ولم أسمح له بفتح حجرة الأسرار مرة أخرى أبدا. وعلى أي حال أظنه يخشى كثيرا ما حول الصندوق من دفاعات وسيستغرق وقتا طويلا حتى يعثر لنفسه على منفذ. لحسن الحظ أنه لا يملك عقلي الهندسي!

****

نداء

إلى كل أعواني المخلصين

إلى كل من اقسم على الولاء للإمبراطورة, سليلة التنين, حفيدة العظيم جريجوري.

ها قد مر الزمن منذ قامت الخائنة روينا بجريمتها في حق جلالتنا الامبراطورية.

هاهي تتمتع برفقة زملائها من خونة الدم الذين يتجاهلون أسرار السحر العظمى وميراث الأجداد المقدس.

ولكن صبرا صبرا.

سنصبر ونكتفي بالمراقبة. هؤلاء الأربعة الذين اعمتهم نفوسهم المريضة قد جلبوا على انفسهم شرا.

ابشركم بنصر ليس كمثله نصر لكنه ليس اليوم.

قد علمنا من رجالنا المخلصين المدسوسين وسطهم أن كل العلامات قد تحققت في معجزة نادرة أتت خصيصا نصرا للحق القديم في المجد الامبراطوري!

رجل جمع جمعا فريدا في نادرتين! فهو صاحب رصد لباب ممن الأبواب الثلاثة عشر وقد خلخل الباب المقدس وجعله أكثر طاعة لسلطتنا الامبراطورية.

وهو صاحب ناب أزرق فهو يسرق من قوى الأربعة لنفسه ويضعفهم يوما بعد يوم!

لقد أتى خصوم الحق الإمبراطوري بهلاكهم لأنفسهم. فزادونا قوة وأضعفوا انفسهم.

وإن الامبراطورة بعلمها الشاسع قد عرفت أنه قريبا سيكون السلاح الفتاك الذي نخشاه بعيدا عن يد الأربعغة لا يستطيعون الوصول له إن شاءوا.

وحينها. سنبدأ رحلة المجد ونستعيد العرش لصاحبة الحق المقدس.

امبراطورتكم المخلصة والمجاهدة: تربلينا

****

عزيزي سالازار,

لا استطيع أن اخبرك بما عرفت, اكتم الحقيقة كي لا أثير فزعا أو اجعلك تكذبني. سأبذل تضحية كبيرة بحب حياتي في سبيل ان ابعد هذا السميائي العربي عنك. ما عرفته عنه

شديد الخطورة لا يعرفه هو نفسه عن نفسه! لن يبدو كلامي لك مفهوما لكن اعلم انني مخلص لك. كنت أنت من كلفني بالعمل مع تربلينا كي أكشف أسرارها وقد سقط في يدي عدة رسائل تتناول أمر هذا السيميائي بأسرار سحرية يفوق خطرها الأساطير. انصحك ألا تترك سلاحك السري بعيدا عن يدك. نعم تربلينا عرفت بوجود سلاح تخططون لجعله بعيدا عن أيديكم, لا تنس قرابة الدم مع روينا تمكنها من رؤية أشياء ومعرفة أشياء دون أن تدري. أنت تفهم بالطبع أنني لا استطيع أن أريك الرسائل ما لم تقسم قسم الطاعة للامبراطورة المخبولة.

كفاني غموضا فقط أخبرك أنني سأضحي بحبي إبعاد صديقك الجديد عنك وأنني لن أهدأ حتى أتخلص منه, هذا إن منحتني الإذن يوما.

المخلص لك دوما

بينوس مالفوي

****

تعويذة رؤية الكتب

نجحت في إنهاء البناء وحصلت على مكافأتي الضخمة من الدنانير الذهبية دفعوها لي بكل أشكال السك التي يضرب بها الذهب في العالم. وبعضها اسموه جايونات زاعمين لي أنه مستقبل المال في عالم السحرة! ولأن باقي المال كان يكفيني لحياة رغدة فقد تجاهلت هذا الذي لا أدري نصب أم حماقة؟ فمن الذي سيستخدم دنانير للسحرة ويترك الدنانير الذهبية التي تنفعه سواءا كان بين السحرة أو العامة!

على أي حال ألقيت نظرة وداع أخيرة على القلعة التي يعمل فيها مئات الجن لتزيينها وتجميلها لكي تستقبل الطلبة مع بداية العام الدراسي الجديد ولم أنس أن اختلس نظرة على مدخل حجرة الأسرار لأطمئن أن سليذرين لم يستخدمه مرة أخرى.

ووجدتهم قد انشغلوا عني فانتهزتها فرصة وأمرت ثمانية من الجن بأن يصنعوا لي نسخة من كل كتب السيمياء في القلعة. فقد كان هذا آخر يوم أكون فيه سيدا عليهم ولم أحب أن أضيع الفرصة. وهكذا تجمعت في عربتي أكوام من الكتب

السحرية بما في ذلك تلك التي احتفظ بها الأربعة لأنفسهم لا يشاركون فيها أحدا. وأصابني الفزع فلم أتوقع هذا الإخلاص المبالغ فيه من الجن فرحلت بغنيمتي مسرعا.

أرسلت الكتب إلى ليلى في مستقرها بآسيا الصغرى حيث تتابع البحث عن وسائل صنع حجر الفلاسفة. كنت قد اتفقت معها على اللحاق بها والزواج منها هناك. لكني كنت أحمل همين الأول عودتي لتلك البلاد الجريحة التي خربها الصليبيين ونشروا فيها الفساد وثانيها هو فلامل الصديق المخلص. كانت ليلى تخشى كثيرا من أبيها ومالفوي وتظن أنهم سيرفضون الزواج مني لأنني نصف عامي وعربي ولا أجيد استخدام العصا.

لذا كتمت الأمر عنها. أنا أدرك أنا فلامل يعرف الأمر برمته ولعل مالفوي يعرفه كذلك لكنه يخشى أن يثير غضب سليذرين فقط ليلى لا تعرف أنهم يعرفون. لذا لم أغادر إلا بعد أن أخذت مباركة فلامل لزواجي من ليلى لكنه نصحني بكتمان هذا عنها لأنها عنيدة وستشعر أنني أفشيت سرها

"هي ابنتي المجنونة الحمقاء. أعرفها جيدا. يجب عليك أن تحميها دوما من نفسها ولا أجد أحدا يحمل عني هذا العبأ

أفضل منك. ولا حتى مالفوي الذي لا يحب السيمياء. أنا أخافه دوما رغم أنه صديقي فهو مهتم مثلها بالخلود لكنه يبحث عنه عبر السحر السود اللعين ويدرس أمورا لا قبل لنا بها كالروح والنفس وأسرار الحياة وشرب دماء الحصان وحيد القرن البريئة. لذا فاحذر منه دوما. واحذر صديقك سليذرين ولا تخبره أبدا بزواجك."

لم أخبر سليذرين رغم أنني أحسست بشيء من الألم لهذا فقد كان خير صديق لي لكني شعرت أننا متعادلان فقد كتم عني أمر الغبار الأسود حتى لا يفشي سرا للأربعة وأكتم عنه أمر ليلى حتى لا أغضب أباها الحبيب.

وهكذا تزوجت بليلى والسيمياء في آن واحد! نقضي ليلنا ونهارنا ما بين المعامل والمكتبات والسعي خلف السحرة القدام والسيميائيين المسنين. عثرنا على الكثير وعرفنا أسرارا كثيرة وكانت لنا اكتشافات جميلة خاصة في الوصفات التي تشفي من الأمراض المختلفة فقد كنت أشعر بأهمية هذا الأمر لأنه أولا دين أرده للسيميائي الذي أنقذني من مرض الموت وثانيا حتى لا يعاني شخص مما عانيته من وصفة دوار البحر التي أعطاها لي فلامل!

لكننا كنا بعيدين تماما عن أمر حجر الفيلسوف. فأخذت أبحث في كل ما بين أيدينا من كتب دون جدوى. المشكلة أن المعلومة الوحيدة النافعة التي حصلت عليها من تيمور السيميائي هي أن معرفة طريقة الصنع جزء من الصناعة! أي أنه من المستحيل العثور عليها في أي كتاب.

لكن ذات مرة وقع في يدي كتاب عظيم حتما هو لساحر لا مثيل له أخذت منه الكثير رغم المشقة لأنه كان من

كتب الحداريم غير المرتبة فتجد بداية وصفة في أول الصفحة تتلوها دروسا للتعاويذ والتاريخ السحري وغيرها وبعد صفحات بقية الوصفة كأنما لم يقطعها شيء! يبدو أنها كتب كانت تكتب بالإملاء على الطلبة أثناء عمل الدرس لذا فأثناء انتظارهم ساعة مثلا حتى تنضج الوصفة يخبر المدرس تلميذه بأمور كثيرة أخرى يكتبها كما أمليت دون تنقيح.

مثل هذه الكتب المرهقة كانت ليلى تجعلها دوما من نصيبي! لكنني كنت صبورا بما يكفي لاكتشاف خباياها وحينما كنت أدرس في هذا الكتاب اكتشفت امرا طيبا

كان درسا مملا غير نافع عن آداب السلوك للطالب عند أستاذه وما يجب عليه فعله أمام أمراء ونبلاء العامة والسحرة وغيرهم بالتفصيل الممل بأسماء كل وجهاء هذا العصر الذي كتب فيه الكتاب! لكنه كان يحتوي بين طياته بعض التعاويذ وسواء هذا أو ذاك لا أنتفع به لأنني لا ألمس العصي ولا أقوم بالتعاويذ لذا ما من مرة مضيت فيها على هذا الدرس الطويل إلا وأسقطته.

لكن هذه المرة لفت انتباهي جملة غريبة في الدرس التالي وهو درس الوصفات.

كان من الواضح ان بعض الدروس يكتبها اشخاص حمقى يسجلون حتى أصوات التنفس التي يزفرها الطالب الناعس! فوجدت في هذا الدرس حوار عن كيف استخدم مريندل تلك الوصفة بعد أن رآها في كتاب الأستاذ ويعتذر للحدريم الموقر عن غيابه أول أمس.

إن كان غائبا فكيف رأى الوصفة. المفترض أنه قرأها ولم يراها خاصة وانها معقدة جدا

بحثت كثيرا وعدت للدرس الممل إياه فوجدت بين التعاويذ تعويذة رؤية الكتب!

تلوت التعويذة ورغم أنني لم أكن أمسك بعصا فقد نجحت.

وجدت حلقة الدرس قد ظهرت من حولي كالأشباح وكل ما يفعلونه في الدرس ظاهر أمامي رغم أنه باهت جدا

واكتشفت أنني أستطيع التحكم في هذه الأشباح فآمرها بفعل كذا أو إخباري بكذا أو أي شيء ما دام موجود في الكتاب.

لا أدري أكان هذا واحدا من الكتب التي حصلت عليها من الأربعة أم لا لكني علمت منه الكثير. ورغم انه ليست كل الكتب تستجيب للتعويذة فقد اكتشفت أنني إن منحت أشباح كتاب كتابا آخر لا يستجيب فإنهم يستطيعون إجابتي عن أي سؤال أسألهم فيه وإجابته في الكتاب الجديد.

كان هذا أمرا مذهلا ولابد أنه سر يدفنه الأربعة فيما بينهم ليكونوا هم فقط الأعظم.

وحتما هذا الاستاذ الحدريم الذي اخترع تلك التعويذة السهلة والمذهلة من أعظم السحرة.

وهكذا سألته عن سر الأربعة الدفين

وكان ما عرفته مذهلا لأقصى درجة

****

ليلى تتحدث

أحب الأسرار كثيرا وأرى فيها الأمان من غدر الزمان فكلما ازداد ما تعرفه من أسرار ازدادت قوتك وكلما قل ما يعرفه الآخرون من أسرارك أمنت شرهم.

كانت تعويذة رؤية الكتب التي اكتشفها زوجي مذهلة وفتحت علينا افاقا في السمياء لم نحلم بها رغم أنها لم تقربني من حلمي الكبير حجر الفيلسوف.

لكنها تجعلنا نتعلم في دقائق ما يحتاج الآخرون لأيام لفهمه ورغم أني أدركت أن الجميع لا يستطيعون تطبيقها. فزوجي يفعلها بسهولة دون عسر ويجبر أشباح الكتب على فعل ما يشاء بينما لا أستطيع أنا بالعصا أن افعل أكثر من سؤال أسئلة محددة جدا لآخذ إجابة سريعة موجزة أو رؤية بعض الألوان المطلوبة في دروس الوصفات إلا أنني طلبت من زوجي كتمان أمرها تماما خشية أن يحدث ما لا يحمد عقباه إن وقعت في أيدي سيئة.

رفض هذا كثيرا لكني أدرك أنه لا يصمد أمامي في أي حوار أكثر من خمس دقائق! فعشقه لي يفوق الوصف واستخدم هذا لحمايته من نفسه!

أنا أدرك أنه مختلف تماما. هو يستطيع فعل أشياء لا يقدر عليها الآخرون بدون أن يستخدموا التعاويذ ويرى ما لا يراه الآخرون وبالذات تلك الدروع البصرية التي تخفي أماكننا عن العامة لا تؤثر فيه وأثبتت لي تلك التعويذة أمرا كنت أشك في من زمن فهو يمتلك قوة ما على المخلوقات الطيفية. كالأشباح والظلال القاتلة والديمنتورات (ولو أنها ضعيفة جدا على هذه الأخيرة) وأشباح الكتب التي اكتشفها. هو لم يلاحظ هذا لكن من الواضح أن استجابة أشباح الكتب له ليست طبيعية فهي تطيعه لأنها تخشاه.

أفكر أحيانا أن هذا يرجع لأثر اكسير الحياة الذي شربه وهو طفل أو كما يزعم سليذرين فإن قواه السحرية مضطربة لرفضه استخدام العصا أو لعلها قوة ورثها عن أجداده العرب أو الفراعين. ولا أنسى أنه عاش طويلا في ظلال الأهرامات وبين الصحراوات الغامضة وخالط الجن المنزلي أكثر من أي شخص أعرفه فقد كان يشفق كثيرا عليهم لأنهم يذكرونه

بأيام عبوديته ولعلهم نقلوا له قوى معينة دون أن يشعر فعلوم وقدرات الجن ما زالت غامضة لنا. أو أن بناء القلعة ومخالطته لكل هذا السحر العظيم خاصة تلك الشائعات التي يتناقلها الناس عن مادة دهنت بها بعض حجرات القلعة لتمنحها قوة لا مثيل لها تبرر امتلاكه لهذه القدرات الغريبة. وحقيقة انه المح لي ان هذا الأمر صحيح لكنه لا يجرؤ على التصريح خشية من عقوبة العقد السحري وهيلجا هافلباف حتما ليست ممن يمزحون بشأن عقودهم!

ما أخشاه أنني لم أجد أثرا لمثل تلك القوى إلا في بند الأساطير المكذوبة في القاموس الأعمى لتاريخ السحر وهو كتاب لساحر هندي أحمق كان من اشهر الناس بالكذب واختراع القصص ومزجها بتاريخ مزعوم لا يقوم عليه دليل حتى ليصنف بأنه أكثر الكتب كذبا في التاريخ ولا يقرأه أحد إلا للتسلية أو دراسة فنون الخط للحروف السينسيكريتية في هذا العصر!

وهذا المؤرخ ذكر في باب الأساطير المزعومة التي حتى هو لا يصدقها نبأ ما أصاب بعض من نجوا من أتباع الأسد الأرقط (الذين كانوا قبله بأربعمائة عام ولم ينجوا منهم

أحد!) فقد زعم أنهم لما نجوا من عالم العدم الذي أرسلهم له الحداريم السبعة الأعظم كانوا كأنصاف أشباح فيستطيعون مخاطبة الأشباح فيطلبون منهم أي شيء فيلبوه باسم القربى!

ورغم أنها كذبة لا أساس لها وانها تختلف كثيرا عما أراه في زوجي فإني أخشى إن علم بها البعض أن يستخدموها ضده.

فعالم السحرة يتغير الآن بسرعة مذهلة تفوق فهمه فدعوة سليذرين لسان الثعبان الخبيث لإخفاء عالم السحرة بأكمله والانفصال السلمي عن العامة تلقى تأييدا متزايدا بل تجد أيضا متطرفين ينادون بتنقية العالم من أنصاف السحرة وهم يحاولون بلا جدوى إقناع لسان الثعبان بزعامتهم لكنه يرفض هذا الشطط لحسن الحظ. وإن كنت لا آمن لمالفوي الغامض الذي يعشق السحر الأسود أن يؤثر عليه.

أما زوجي فبعد أن بلغ شأنا مذهلا في السيمياء وخاصة في ابتكار الأدوية الشافية يصر على عدم حرمان العامة من علمه فيمضي بينهم لمعالجتهم هم والسحرة سواء. وينتقل معي من مدينة لأخرى ومن قرية لقرية لا يفرق بين ساحر

وغير ساحر إلى جانب رفضه لاستخدام التعاويذ والعصي السحرية مما يعني رفضه أن يكون ساحرا. كل هذا يثير عليه غضب الكثيرين الذين يتحينون الفرصة للتخلص منه فهم يخشون أن يتزعم حركة تمرد جديدة مثلما حاول أبي أن يفعل مع الحزب الملكي ضد الفصل بين السحرة والعامة. فاليوم لم يعد للحداريم صوت يذكر وهم يضمحلون ويتحولون لدجالين ونصابين يخدعون العامة من أجل المال وعلومهم تضيع وتفسح المجال للعلوم الجديدة بعد أن ارتفع نجم هجوورتس إلى عنان السماء.

لكن زوجي ظهر فجأة ليدعو إلى ما يسميه مبدأ السيميائي الذي لا يحرم أحدا من نفعه ويقف بين الساحر والعامي لا هو هذا أو ذاك. فينذر بمعارضة من نوع آخر.

لم تلق دعوته قبولا في البداية لكنها انتشرت بين جماعات الفقراء الذين أنقذ أبنائهم من المرض والموت ورغم أنه لا يدعو لجماعة أو سياسة فالمتعصبين يخشونه بشدة وأعداءه يتزايدون ولولا صداقته بسحرة كبار كميردويك زعيم السحرة في روما والأربعة العظام في انجلترا وكبير

العمالقة في جبال الألب - الذي عالج قبيلته من داء أطلقه عليهم أحد أتباع فنون الظلام - فربما كانوا سيقتلونه!

وأمر آخر هو نبذه الشديد لكل علوم الظلام وسعيه لتحريمها وهي الدعوة التي يؤيدها جريفندور ورافلنكو وتلقى مقاومة عنيفة من بعض صغار السحرة الحقودين. الذين يستمدون قوتهم سرا من سحرة كبار ينتمون لعائلات عريقة مثل آل مالفوي وبعض أبناء سليذرين وأقاربه الذين غضبوا لأغلاقه مدرسة السحر الأسود والاكتفاء بتدريس الدفاع ضده في هجوورتس.

وإذا أضفنا لهذا عداء أصحاب المدارس الصغيرة للمهندس الذي بنى المدرسة التي ستقضي عليهم فأدرك أن له أعداءا كثر.

لذا كنت أرى أن معرفة أي شخص بقدراته الغريبة وربطها بأكاذيب هذا المؤرخ الهندي ستمثل عليه خطرا هو في غنى عنه خاصة أنه لا يصدق بوجود هذا الخطر أصلا ولا يدرك أن له أعداء فيقول لي دوما

"أنت كثيرة الشك محبة للكتمان ولا تثقين بأحد. يا عزيزتي أنا مجرد شخص عربي من بلاد غريبة عنكم فربما لا يحبون

الأجانب. ويكفيك اننا تزوجنا منذ زمن بعيد وأنجبنا ثلاثة أطفال ومازلت تصرين على كتمان أمر زواجنا حتى على أهلك واصدقائي! اهدئي قليلا فلن أتراجع عن علاج من يحتاجني."

لم ير ما هو قادم ولم يدرك المحن الآتية. تبا لحماقته.

****

البدر المخيف

قالها لي فلامل العزيز حين طلبت مباركته لزواجي من ابنته " هي ابنتي المجنونة الحمقاء. أعرفها جيدا. يجب عليك أن تحميها دوما من نفسها ولا أجد أحدا يحمل عني هذا العبأ أفضل منك."

كم كان صادقا!

لقد اصيبت بالهوس وجنون الشك وأصبحت تتلمس كل أسباب الحذر من أي شخص حتى كادت أن تخنقني ولو كان الأمر بيدها لربما حبستني في قمقم وألقتني في قاع البحر لتبعدني عن أعدائي الوهميين!

ويجب أن أحميها دوما من نفسها. أحميها من هوسها الأعمى بالخلود الذي أراه مستحيلا فأبذل جهدي كي لا تنحدر وراء الشرور بحثا عنه. أؤيدها في أمر حجر الفيلسوف لأن له منافع عدة لكن مع تسرب اليأس لنفسها وخشيتها من ألا تدركه بدت بعض الأفكار الشريرة تظهر لها في صورة بريئة جذابة خاصة مع وسوسة مالفوي اللعين الذي يؤكد دوما أن فنون الظلام هي الوحيدة القادرة على تحدي الموت. فالموت

من سنن الحياة وفنون الظلام هي التي تتحدى وتخترق تلك السنن أما السيمياء فهي تغرق في تلك السنن وتصل لأعماقها لتتجاوز بعضا من قوانين قشورها.

وزوجتي العزيزة تحذرني وتحذر رفاقي دوما من عداوات وخصوم لا وجود لهم كأتباع المدارس الصغيرة وأذيال الحداريم وأصحاب مذاهب الدم النقي وهؤلاء لا يهتمون بي كثيرا لأنني زاهد في الحكم والنفوذ فلا أدعو له ولي أصدقاء أقوياء وأخيرا فبعضهم ينتفع بي وبعلمي ووصفاتي الجديدة.

لكن تحذيرات زوجتي تلفت انتباههم وتزيد من حذرهم لتضيف لخصومي الحقيقيون خصوما.

ألاحظ أن أتباع الظلام يحتشدون ويتكاثرون. هجمات الديمنتورات أصبحت أكثر انتظاما. الديمنتور مخلوق انتهازي وكسول ويرحب بسهولة باتباع أي شخص يمنحه صيدا سهلا لذا فقد تبعوا زعماء الشر حين أتوا لهذا العالم مثل جريندل وبعد سقوطه تبعوا النبلاء وزعماء الجماعات المتصارعة يؤيدوهم ضد خصومهم مقابل الحصول على غذاء سهل من سجناءهم.

لكن هجمات العامة المنتشرة والتي أصبحت أكثر إصرارا وتظهر لي كمن تستهدف أشخاصا معينين تقلقني. هناك قائد سري جديد ظهر لقوى الظلام. ربما ليس في قوة ودهاء جريندل وحتما لا يستطيع منازعة الأربعة لذا فهو يكتم نفسه ولا يعلن عن جماعته.

أحذر الكل من هذا فلا يصدقون. الديمنتورات تهاجم الناس منذ أتى بهم جريندل هذا ليس دليلا على ظهور خليفة له أيها السيميائي !

يرتاحون لتشتت أتباع الشر ولا يدركون أن العاصفة قد تأتي فتقتلع كل شيء لأنهم تأخروا أكثر من اللازم ولم يعدوا العدة لها.

فنون الظلام هي عدوي الحقيقي, أحاربها وأحارب من يدعون لتدريسها وأظن أن النصر حليفي ودعوتي تلقى حماسا من الكثيرين وقد سبقني فيها من هم أعظم وأشهر لكن أظن أنني قد اكون مستهدفا.

لم أخبر زوجتي بهجمات الديمنتورات المتكررة علي. الامر انتهى دون أذى فما أن أحست الديمنتورات بمقاومتي لها

حتى تراجعت فهي كما قلت مخلوقات كسولة تفضل الصيد السهل.

لو أنني أخبرتها فسأضطر لإخبارها بقدرتي الفريدة على التصدي لها واخبرها بالتالي بأمر تجاربي السرية على تلك البقايا من المسحوق الأبيض التي احتفظت بها لنفسي.

كنت قد احتفظت بكمية قليلة منذ أن منحني إياه الأربعة لم استعملها وأنا أذكر ما قاله لي سليذرين عن أنه يضاعف قوى المرء وطبعا لا أنسى أبدا ما سمعته عن أمر ذاك المسحوق وقرينه الأسود الأكثر إفزاعا. واقتسمته نصفين دسست أحدهما في شراب ليلى كهدية زواج سرية دون أن ألهب فضولها

وفكرت أنها تبحث عن الخلود والمخلوق الأقرب لهذا هو الاشباح. فلماذا لا أحاول تحقيق أملها الكبير؟

جعلت بعض الأشباح تمر عبر تلك الحفنة الضئيلة البيضاء وأجريت عليها تجاربي سرا علني أقترب من حجر الفلاسفة لكن الحيوانات لم تشفى او تنجو من الموت فألتهمت بقايا المسحوق كما فعلت ذاك اليوم بعد بناء الحجرة السرية وإذا بي أكتسب قوى غريبة. لقد أصبح لي سلطان على الأشباح

وغيرها من المخلوقات الطيفية لا يزيد عن بعض الممانعة أمام الديمنتورات لكنها كافية بما أني لا أملك القدرة على اطلاق التعويذة المضادة لهم دون عصا.

على أي حال تركت بلاد الغال الفرنسية حيث يعيش أشقاء فلامل وذهبت إلى بلاد الجرمان (المانيا) استجابة لدعوة لا أقدر على خذلانها أبدا.

كان بعض أقارب روينا العظيمة يعيشون هناك في قرية صغيرة قرب الجبال وإذا بمذؤب يصل لهم قاطعا ذاك الطريق الطويل من رومانيا حيث نشأت تلك المخلوقات.

أكثر السحرة يحتقرون المذؤوب ويرونه مخلوقا شريرا. وهم لا يفقهون في الطب والعلاج إذا زعموا ذلك. ما هذا إلا مرض عويص مستعص. وقد استشرى بين أبناء القرية وأصاب بعضا من أقارب روينا التي لم تجد غيري تلجأ له. أوصتني بكتمان الأمر فلو عرف الناس لأصبح عيبا يلاحقها فقد تلوثت دماء عشيرتها بهذه الوصمة الشنعاء, وصمة المذؤوب ولن يرتاحوا حتى يتتبعوا كل مصاب ويقتلوه.

كان الأمر مريعا حين وصلت. خشيت أن تتهمني زوجتي بجنون الريبة إن قلت لها أنني أظنه أمرا مدبرا. لكن أيا كان

من تجشم عناء نقل مذؤوب شرس إلى هنا فسينقلب السحر عليه لأن الأمر خرج من السيطرة وحتما سيصل المذؤوبين لكل بقاع أوروبة الآن وربما حتى إلى انجلترا.

حين يصيب الوباء أغلب أهل القرية لا تجد البقية التي لا تستطيع محاربة كل هؤلاء حلا إلا الفرار لبلاد بعيدة لا يعرفها فيهم أحد ثم يأتي البدر التالي. بدر الموت والدمار حيث يتحول بعض الفارين لينشروا المرض في قرى أخرى ولا يجد الأهل المحبون بدا من كتمان الأمر خشية رد فعل غلاة السحرة الذين ربما لا يكتفون بقتل أحباءهم المرضى بل يقتلون معهم كل الأهل ليضمنوا القضاء على تلك اللعنة دون أن يدركوا أنما هم ينشرونها بإجبار الباقين على كتمانها!

أرسلت لي روينا ذات القلب الطيب علني أجد علاجا لتلك اللعنة المعقدة وهي تظنها محصورة في جبال ألمانيا فإذا بي أجدها قد انتشرت في كل مكان خاصة في البلاد التي يغفل أهلها عن الأمر وهم يتصورون الخطر بعيد حبيس قرى والاشيا وترانسلفانيا.

ءأجد علاجا له؟ أنى لي بهذا. الأمر يحتاج جهدا وعلما وتجاربا ووقتا وتعاونا ولا أملك من هذا شيئا.

لن يعينني في هذا الغرض النبيل غير زوجتي لأنه ككل غرض نبيل يخلو من المجد والشهرة ويساعد من يحتقرهم النبلاء لا يلقى إلا النفور. ولا أستطيع السيطرة على المذؤوب الشرس لكي أجرب عليه علاجات مختلفة وليس عندي وقت فالمرض يتفشى ويجب أن أسيطر على انتشاره واحذر الناس منه قبل أن يلتهم كل البلاد في البدر القادم.

لن يجدوا علاجا لهذه اللعنة ولو بعد ألف عام ماداموا لا يعترفون بها كمرض وبضحيتها كإنسان.

****

ليلة مع الغيلان

كانت رحلتنا إلى قرية الجمجمة (وهو الاسم الذي لحق بها بعد تفشي الوباء) عسيرة للغاية. لم نكن نعرف المكان بوضوح وكان من الصعب علينا أن نستخدم الانتقال الآني كما أنه عندما يكون القمر بدرا في سماء صافية يصعب أن نستخدم المقشات السحرية فوق المدن والقرى المزدحمة وقد أخبرتني ليلى التي عاشت كثيرا في هذه البلاد من قبل أن أهلها يتميزون بالعنف ضد السحرة الأجانب فربما يطلق علينا ساحرا أخرق تعاويذه إذا شاهدنا نطير فوقه لا لشيء إلا للتسلية

قالت وهي تحرك عصاها ببراعة لتأمر الأمتعة بترتيب نفسها في حقائبنا وهو أمر يعجبني ويجعلني أتردد كثيرا في الالحاح عليها لتتبعني في نبذ العصا!

"ذات مرة شاهدت ثلاثة من الشباب يطلقون تعويذة مرعبة على فتاة صغيرة كانت تشتري بعضا الوصفات لأنها كانت تتحدث بالفرنسية! كانت تعويذة مريعة تجعل الجلد يتشقق وينسلخ عن الوجه ولابد أنهم في غاية البراعة لاختراعها

لكن براعتهم مدمرة ولم أشعر بنفسي إلا وأنا ألقي عليهم تعاويذ مسخ حولتهم إلى فئران."

قلت مصدوما "ياللبشاعة! وهل شفيت الفتاة؟"

"نعم. لم تكن التعويذة شديدة القوة لكنها عانت بعض الندوب التي تحتاج لشهور لتختفي. النقطة هي أن جماعات السحرة هنا منغلقة على نفسها وتتعلق بالتعصب لقبائلها وعشائرها مما يجعلها دوما بلادا عسيرة على أي زعيم يحاول فرض سيطرته عليها سواء كان شريرا أو طيبا."

"إذاً فيمكن أن يكون أمر المذؤوب انتقام من زعيم شرير."

"تعود لأفكارك الغريبة. أمامنا مهمة صعبة وعلينا النجاح فيها. لقد مررنا حتى الآن بما يزيد عن مائة شخص أرى فيهم علامات المذؤوب واضحة ولم نصل بعد إلى قلب الوباء."

كنا نطير في ساعات الليل المتأخرة حينما نأمن من شر العيون بنومها. ونسير في النهار وأول الليل وسط العامة. في هذه البلاد كانت ليلى تخشى السحرة أكثر من العامة.

لكن تجربتي معهم كانت مختلفة! فأثناء صعودنا لبعض التلال قابلنا بعضا من تلك الغيلان المفترسة. الحقيقة أنني

أسمي كل أمثال هذه المخلوقات بالغيلان لكنهم يميزون بينهم بأسماء عدة. كان ذلك الغول أو الترول كما يسمونه مخلوقا غبيا عملاقا لا يتوانى عن التهام البشر بأنيابه الحادة لكنه لا يملك غير قوته الجسدية فيسهل على بعض السحرة السيطرة عليه واستخدامه كخادم لكن بعد تدريب شاق.

كانت تلك الترولات مسلحة بهراوات ضخمة وما أن رأتنا حتى أطلقت صيحات عنيفة فأسرعت ليلى بإخراج عصاتها وهاجمتهم بتعاويذ الصعق وأخذت ترفع الأحجار لتلقيها عليهم

بدا لي الأمر سخيفا أن أظل متفرجا وزوجتي تدافع عني فركبت مقشتها السريعة وانطلقت وسط تلك الترولات أستفزها واستدرجها لمتابعتي وهي تحاول ضربي بأي طريقة ولو أنها فعلت هذا منذ سنوات لسحقت كحشرة مشلولة هوت عليها قدم فيل! لكني اليوم أطير ببراعة لا يضاهيها غير براعة لاعبي الكويدتش المحترفين.

نزعت سيفي وأخذت أطعنهم طعنات خفيفة تزيد جنونهم. لم أجرؤ على طعنهم في مقتل فربما ينكسر السيف على

دروعهم السميكة أو ينغرس في لحمهم القاسي فلا أستطيع نزعه لأمنحهم سلاحا بتارا وأصبح أعزلا.

غرست السيف في فم أحدهم فشققت لسانه ونزعته بسرعة مذهلة ليطيح بعين آخر وانخفضت فجأة بالمقشة لأطير ملتصقا بالأرض ليحطم اثنان منهما كلا رأس الآخر بعدما لم تجدني هراواتهم بالأعلى فأكلت طريقها نحو رأسيهما!

اشتعل غضب الباقين وتأكدت أنني أصبحت الفريسة المطلوبة! فأبطأت سرعتي لأسمح لهم بتتبعي وأنا أقودهم بعيدا عن ليلى وألتفت كل حين لأسخر منهم و ألدغهم بسيفي ثم اندفعت بأقصى سرعة للأمام فاندفعوا يجرون كالمجانين وهم بالفعل مجانين!

عدت منتصرا لليلى وأنا أدعوها لتنظر إلى جثثهم التي تهشمت بعد أن سقطوا من أعلى التل! لكن الأمر لم يعجبها وأخذت تلومني على تهوري.

ولم تكن الوحيدة فقد ظهر حولنا فجأة عشرات السحرة الغاضبين الذين يصرخون بلغة لا أعرفها

قالت ليلى وهي تنكمش إلى جواري "إنهم من عشيرة الفادال ويتحدثون لغة خاصة بهم يزعمون انها ترجع لأجدادهم من الفراعنة وهم غاضبون لأنك قتلت حرسهم!"

****

قلت لليلى "لكن تلك الوحوش هاجمتنا."

ردت بتوتر "الفادال لا يعرفون الكثير عن العدل والتأكد من التهم. هم كباقي عشائر السحرة الجرمان تتملكهم العصبية القبلية فيرون أن تروﻻ خادما لهم أرقى من ساحر أجنبي نبيل. أخبرتك أن العشائر هنا منغلقة على نفسها بشدة."

بدا لي المأزق حرجا لكني رفضت اقتراح ليلى بالسعي للفرار. كانت يدها اليسرى أسفل عباءتها فأدركت أنها تقبض على العصا الثانية التي تخفيها دائما. حتى أنا لم يعرف بأمرها إلا بالمصادفة.

أشرت لها أن تهدأ ولا تبدأ بالعدوان فبدا عليها التوتر والتمرد وظننت للحظة أنها ستتجاهلني لكن لم تلبث أن أرخت يدها مستسلمة.

قلت لها "ألا تترجمي لي حديثهم؟"

"لا أفقه منه إلا القليل. لكنهم حتما يدرسون أمر قتلنا بأبشع الطرق."

نظرت لوجهها الخائف وشعرت بقوة هائلة تجري في عروقي وعزمت على ألا يقعه لها سوء حتى لو دفعت حياتي ثمنا لهذا فتقدمت من القوم رافعا حقيبتي وقلت "أيها الرجال الطيبون جئنا في سلام. أنا سيميائي مرتحل وهذه أدواتي انظروا لها."

فتحت الحقيبة فأصابهم التشنج وقد ظنوا أنني سأطلق منها شرا ما لكني تراجعت في هدوء وأرخيت يدي "اهدءوا سألقيها هنا لتطمئنوا."

وألقيتها بعيدا فتتبعتها نظراتهم المتحفزة مما سمح لي بدس بدرة البوتوهم -التي أخرجتها من الجيب المسحور في جانب الحقيبة- في جيبي. هذه هي أقوى مخدر استطعت الوصول له في حياتي وحتما ستكون سلاحا نافعا حين ألقيها في وجوههم!

أخذوا يتحدثون لنا طويلا ونحن لا نفقه شيئا مما يقولون ثم أشاروا لنا لنتقدمهم فبدا على وجه ليلى القلق لكني طمئنتها قائلا "لم يهددوننا بعصيهم. أظنهم يطلبون منا الذهاب لمكان ما بلطف."

قالت ساخطة حتى أنها لم تخش ارتفاع صوتها "بلطف! أنت تظن الخير في غير محله كعادتك! لو هلكنا فسيكون نصف الوزر عليك."

"اهدئي يا عزيزتي. أم لعلك تريدين شيئا من المهدئ الذي كان في الحقيبة." وضغط على أحرف كان فهدأت على الفور وفهمت مقصدي ثم تصنعت الغضب حتى لا يلاحظوا تغير الحال وأخذت ترغي وتزبد وتذكر أهلها الكبار وحلفاءها الأقوياء في هذه البلاد.

سرنا مع القوم مسافة طويلة جدا حتى أننا لم نصل لمقصدهم إلا عند الفجر

وصلنا لسور عال يحيط بحديقة كبيرة اقتلعت كل أشجارها القريبة من السور أو نزعت فروعها.

وقفوا أمام السور المصمت وأشاروا لأحدهم فركب مقشة وصعد قليلا فوق السور ليلقي نظرة ثم أشار لهم بالأمان.

فتقدم زعيم القوم وأخرج عصاته وتلا بعض التعاويذ ففتحت فجوة في السور يحيط بها حلقة من نار حامية.

تقدم مني أحدهم وقدم لي زجاجة فرفضت أن آخذها.

بدا عليهم التوتر وأخذوا يصرخون بلغتهم الغريبة ويشيرون للبوابة لكني أصررت فليس لي أن أشرب شيئا لا أعرفه.

أخيرا تنازل أحدهم وحدثنا بالانجليزية "يكره قومي أن يتكلمون بغير لغتنا السرية فقد عانينا كثيرا من الأغراب الذين يخدعوننا أو يسرقوننا لكني لا أرى بدا من مخاطبتكما بلغتكما. هذا الشراب للعبور من الحلقة النارية دون أن تتأذى أيها السيميائي ويجب عليك شربه وإلا....."

لم يكمل وقد بدا التهديد واضحا فهمست لليلى بأن تلزم الحذر وأن تبقى بعيدة عن السور فإذا أحست بالخطر تطلق لي تحذيرا فأقذف من خلف السور بالمخدر وتهرب هي.

شربت الزجاجة ببطء وتقدمت وأنا لا أعرف أي خطر سألقاه خلف ذاك السور.

ما أن شربتها حتى أحسست كأن جسدي تحول لقطعة من جليد فتقدمت بصعوبة وانا أرتجف لأخترق النار في سلام وتلاشى عني هذا البرد فنظرت خلفي فوجدت الفتحة تضيق بسرعة رهيبة حتى تلاشت لم يبق إلا جذوة صغيرة من النار الحمراء في ما كان منتصفها.

تقدمت قليلا عبر الحديقة وأنا حريص على البقاء جوار السور لكي أنقذ ليلى ما أن تحذرني. ثم سمعت لغطا من القوم فتحفزت وقبضة قبضة من المخدر وإذا بي أرى أحدهم يحمل حقيبتي ويلقيها لي.

كان في حقيبتي أدوات كثيرة نافعة وبقليل من سعة الخيال والبراعة يمكنني أن استخدمها كأسلحة فتاكة. مثلا هناك بعض السموم التي تقتل من يمسها ولا يملك احد سواي ترياقها في هذه البلاد. وهناك أيضا بعض المواد التي إن خلطتها ببعضها البعض تطلق دخانا كثيفا. ناهيك عن الوصفات التي تحول البشر إلى حجر.

حقيبة السيميائي دوما خطرة وهم كانوا يخشونها ورغم ذلك أعطوها لي. لماذا؟

ربما لأنني أرى الخير دوما في النفوس كما تظن ليلى فقد ملت إلى أنهم لا يريدون معاقبتنا وإيذائنا وإنما يطلبون مساعدتنا. لم ينتزعوا عصا ليلى ولم يتخلصوا من حقيبتي أو ينتزعوا سيفي لأنهم لا يريدون أن نموت من هذا الشر حبيس الحديقة وإنما يتمنون لو أننا أنقذناهم منه.

نظرت لوجه هذا الرحل الذي يركب المقشة فأحسست أنه خائف وقلق أكثر منه متعجرف قاسي فعقدت عزمي وتوكلت على الله وتقدمت مخترقا الأشجار باحثا عن الذي يحبسونه هنا وسبب لهم كل هذا الخوف.

كان ما رأيته غير مطمئن دماء وأشلاء في كل مكان وأثار مخالب مرعبة خمشت الأشجار من حولي

كان الضوء خافتا وبعض الضباب يقلقني فلم تطلع الشمس بعد وسأكون فريسة سهلة لأي مهاجم.

تقدمت بحذر وأنا أتلفت من حولي وأحسست بشيء ما يتحرك عن يميني فالتفت فزعا لكني لم أر شيئا فتقدمت في هذا الاتجاه شاهرا سيفي في قلق.

رأيت أثارا غريبة على الأرض فانحنيت ببطء وأنا أتلفت حولي ثم نظرت لها فوجدتها لقدم كبيرة ذات مخالب ضخمة حادة تركت أثرا عميقا في الأرض الصلبة.

ثم باغتني هجوم من خلفي.

لولا أني لمحت ظله الباهت الذي ألقاه الضوء الخافت المتراقص لجذوة النار في البوابة لهلكت حتما. انبطحت أرضا فاندفع الجسد الثقيل من فوقي وتعثرت أقدامه الغليظة

بحقيبتي فمزقتها وهوى ليصطدم رأسه بشجرة سنديان عملاقة فقسمها نصفين!

لكنه لم يمت بل عاد مزمجرا زمجرة بشعة وتقدم نحوي ومازال وجهه يلفه الضباب ولم يفلح الضوء الخافت إلا في لإضفاء المزيد من الغموض والرعب عليه

لكن هذه المرة كان سيفي في استقباله فغرس حتى المقبض في كتفه فأخذ يصرخ صراخا بشعا صم أذني ولطم صدري لطمة مريعة هشمت بعض عظامي وقذفتني بعيدا.

نهضت متحاملا على نفسي وجريت بأقصى قدرتي مختبئا خلف شجرة بينما هذا الوحش منشغل بالصراخ يشكو ألمه.

وفجأة أحسست بشيء يناديني لأحترس فنظرت فوقي لأجد وحشا آخر يقفز علي من أعلىويصطدم برأسي وحاولت والدوار يقتلني أن أبتعد لكنه تشبث بملابسي ومزقها وهو يجذبني نحوه ويلطمني لطمة أعنف فوق رأسي

وهويت فاقد الوعي بين أنياب الوحش.

****

الهروب

مر وقت طويل حتى لدغتني شمس الظهيرة فأفقت ونظرت للحديقة وقد أضاءها النهار فأضفى عليها جمالا لكن ذكريات الليل لم تسمح للشمس بأن تبخر رعبها.

كان أول ما فكرت فيه وشغلني وجعلني أنهض كالمجنون هو ليلى.

أين هي وماذا فعلوا بها؟

جريت بكل قوتي نحو السور فلم أر البوابة أو أي أثر لها واستبد بي الغضب والقلق حتى لم أعد أطيق نفسي.

رأيت سيفي الملوث بدماء الوحش ملقى أرضا فالتقطه ولممت ما في حقيبتي وحاولت التفكير في طريقة للخروج من هنا فلم أجد.

ليس لي إلا أن أحاول رفع تلك الشجرة المحطمة قرب السور علي أتسلق فروعها فأعلوه لكنها ثقيلة جدا.

ربما أجد في حقيبتي شيء ما يساعدني. هناك محلول النار الزرقاء الذي يحرق الأخشاب بنار مطيعة تنفذ أمري وقد أخذته من سيميائي يعيش في مالطة كان يستخدمه لصنع

المراكب من الأشجار لكني لا أملك منه كمية كافية لصنع سلم من تلك الشجرة ربما ينفع فقط لقطع بعض الفروع.

ألقيت بقطرات على أكبر الفروع فاشتعلت النار فأخذت أشير لها بذبابة سيفي لتقطع الفرع حتى انفصل من الشجرة فجررته بصعوبة متحاملا على الآلام التي اشتعلت في صدري بمجرد أن جذبته مستمدا قوتي من قلقي على عشق حياتي حتى أسندته على السور ثم عدت فألقيت ببضع قطرات على فرع آخر

"لو خرجت فسيقتلونك"

أفزعني الصوت حتى أن الزجاجة سقطت مني بكاملها واندفع لسان نار عنيف اتبع يدي التي أشهرت سيفي نحو المتحدث الذي أصابه الهلع حينما رأى تلك النار تندفع نحوه وهو لا يدري أنها لا تحرق غير الخشب.

تكلم بصوت مفزوع "اهدأ أيها الساحر العظيم. لن أؤذيك. ليس في ضوء النهار."

قلت في صرامة "من أنت؟ وماذا يحدث هنا؟"

قال وهو يرتجف "أنا طبيب معروف في بلادي استدعاني شخص لأعالج أميرهم وكان مصابا بحمى وجنون عجيب

ظننته داء الكلب في البداية. ثم هجم علي وعقرني. فحبست معه في تلك الحديقة."

"أهو مذؤوب؟"

"لا أعلم ما هذا الأمر. لكنهم مثلك سحرة ويبدو أن الحيل أعيتهم فلم يستطيعوا علاج أميرهم فلجأوا لي. كان الأمير محموما طوال الوقت وبعد أسبوعين تحول لوحش مفترس قتل ومزق عددا من الخدم القصار القامة الذين كانوا يقومون على خدمتنا. ولم ألبث إلا وأصبت بمثل لعنته وشاركته القتل والتمزيق ولا أدري أكان أنا أم هو من مزق من أتوا بعدنا من الأطباء. أستيقظ في النهار فأجد جثثهم ممزقة وحقائبهم بما فيها من دواء ملقاة مبعثرة. ولابد أننا هاجمناك أنت أيضا أمس."

بدا لي الأمر واضحا. تلك العشيرة منغلقة جدا على نفسها فلم تدرك أن ما أصاب أميرها هو عقرة مذؤوب حتما سمعوا عن الداء لكن من رأى ليس كمن سمع. وإصابة الأمير شديدة تجعله في حمى وجنون دائم فظنوه مريضا بمرض ما يصيبه بالجنون ولم يصدقوا أو لم يريدوا أن يصدقوا أنه قد أصبح مذؤوب.

أما ما أنقذني فكان بدرة البوتوهم التي تناثرت حينما مزق ملابسي. كان الأمير هو من هاجمني في اللحظات الأخيرة قبل سطوع الشمس فتلقى جرعة قوية أفقدته الوعي حتى الآن أما الطبيب المسكين فمازال يتطوح كالسكير من أثر الغبار.

كان علي أن أجد علاجا للأمير لأخرج من هنا لكن لا يوجد مثل هذا العلاج وزوجتي بين أيدي قومه.

ذهبت لحقيبتي فأخذت منها المزيد من البوتوهم ومنحت الأمير والطبيب جرعتين تكفيان لأيام فأمنت شرهما ثم نظرت لهما فوجدت جرحا عميقا ملتهبا في جسد الأمير. هذا الرجل يموت من حمى بسبب جرح ملوث يصيبه بالجنون الدائم والحمى. ياله من مسكين لم تكفه لعنة الذئب. لكن لحسن حظه أنني أملك ما ينفعه.

كان الأمر شاقا ومؤلما خاصة الجزء الخاص بفتح الجرح لتنظيفه وحتى البوتوهم لا يطفئ هذا الألم البشع ثم أخذت في منحه العلاج بانتظام طيلة الأيام الثلاثة

كنت اطمأننت على حال ليلى. فكأي حديقة مهجورة يوجد هنا ثعابين صغيرة كان أحدهم هو من حذرني من هجوم الأمير

من أعلى الشجرة فأرسلتهم ليبحثوا عن ليلى وأطاعوني في حماس. كانت هذه هي أول مرة آمر فيها الثعابين بشيء وتطيعني لو استثنينا ذلك الموقف الغامض قبل وفاة مستعبدي في البندقية لكني أحسست كما لو كنت معتادا على هذا الأمر منذ ولدت.

خرجت الثعابين من أنفاقها أسفل السور وبحثت وأتتني بنبأ المحبوبة. هي حية وسليمة تبكي دوما وقد تركها الفادال ترحل لكنها تطوف كل يوم حول السور تحاول أن تجد منه منفذا.

أخذت عدة أيام في علاج جرح الأمير المتقيح وطعنة السيف التي أصبت بها الطبيب المسكين وبدا لي الخطر الذي حاق بي واضحا فقد كان يمكن أن أقتل أو تحول لمذؤوب مثلهما. لكني نجوت بفضل الله بصدفة عجيبة. والآن عثرت على حل للمشكلة التي أتت بي لهنا.

أفقت الأمير والطبيب بعد أن مضت دورة القمر وتحسنت صحتهما وبمساعدتهما بدأت في خطة الفرار من تلك الحديقة

قال الأمير يائسا "لا فائدة فأنا أعلم سحر قومي جيدا. هذا السور القوي لن يهزم وحتى لو كنا نستطيع الطيران فتعاويذ الحماية فوقه أقوى مما تتصور. ولا يمكن الأنتقال الآني من هذا المكان المحمي. لقد أشرفت على صنع هذا السجن بنفسي ليكون مصير من يتمرد علي وأعلم أنه لا يمكن قهره."

"يا عزيزي لم يتصور قومك أن يحبسوا فيه مهندسا بارعا من أبناء مصر."

الأمر كان بسيطا بمساعدة الأثنين. بنيت هرما خشبيا مدرجا جوار السور فأصبح سلما آمنا أصعد عليه لأي مكان أريده وبخبرتي أدركت أي النقاط أضعف في بناءه فكنت أصعد على درجات الهرم لأعلو جوار نقاط معينه فأثقبها مستخدما سيفي وأضع فيها خشبا جافا جدا.

وعندما حانت لحظة الفرار أتيت بالماء من النبع الصغير في وسط الحديقة وبللت به خرقا من ملابسي الممزقة ولففتها بإحكام حول أطراف الخشب الجاف وأمرتهما بتغذيتها بالماء دوما.

حيلة أعرفها من أهل النوبة يزعمون أن الفراعين كانوا يستخدمونها لشق الأحجار. فالخشب الجاف سيتمدد مع البلل في حجم ضيق وسط الأحجار ولا توجد قوة في العالم ولا حتى القوى السحرية تستطيع الصمود أمام هذا التمدد خاصة لو زرعت الأخشاب في أماكن مناسبة ولم يعمل الساحر أو البناء حساب مثل هذا الأمر!

ولم تمض سويعات إلا وتفلقت أحجار السور المتينة وانتشرت بينها الشقوق ولم تحتج للكثير من الجهد حتى صنعنا في وسطها فجوة كبيرة مررنا عبرها بسهولة ويسر! لقد هربنا من سجن الفادال المنيع.

****

معركة حامية

ما أن خرجنا من تلك الفجوة حتى أصمت أصوات الفرقعة والقعقعة آذاننا. عشرات السحرة ظهروا من حولنا بالانتقال الآني وهم يشهرون عصيهم بتوتر وقد بدا عليهم الذهول والمفاجأة العنيفة حتى أن بعضهم أتى وفمه مازال ملوثا بأثر الطعام الذي كان يلتهمه!

بل إن هناك رجل مازال ممسكا بطبق الفاكهة الذي يحوي بعض الكروم الأحمر!

بدءوا في الهجوم علينا على الفور فانهمرت علينا في البداية تعاويذ الصعق لكني والأمير تفاديناها بسهولة أما الطبيب المسكين فقد هوى متجمدا بعنف كحجر أصم. ولم يكن معي سلاح أحتمي به فتقهقرت قليلا خلف حطام السور الذي تصدى لحزمة عنيفة من تعاويذ لا أحب أن أتخيل أثرها لو أصابتني. فيكفي أن هذا الجدار المنيع قد تفتت بعض حجارته إلى غبار وتحولت بعض أخرى إلى بخار!

كان أمير الفادال رجلا عملاقا حقا يكاد أن يكون مثل طولي مرة ونصف كفه تقبض على ثمرة بطيخ بسهولة ومع ذلك

خفيف الحركة يقفز يمينا ويسارا ويقاتل أتباعه السابقين بفروع الأشجار وقذائف الأحجار التي كان يلقيها بدقة فتسقطهم واحدا تلو الآخر مضرجين بدمائهم بينما تعاويذهم تخطئه دوما

ثم تلقى ضربات صائبة عدة لكنها لم تؤثر فيه إلا قليلا ولم يلبث إلا أن نهض وعلى وجهه الألم وصرخ صرخة غريبة فإذا ببعض الغيلان الترولات تأتي وهي تعدو بكل قوتها للاستجابة لنداء سيدها فازداد التهاب المعركة.

هوت الترولات بقسوة على السحرة المحيطين بنا وهي تباغتهم من الخلف فأسقطت عددا لا بأس وصنعت ثغرة في الحصار حولنا فاندفعت بكل قوتي أحاول النفاذ منها فهوت تعويذة ما بين قدمي لتفجر الأرض فتعثرت متألما وقد تجدد لهيب الجروح والكسور التي لم تشف بعد. ووجدت عصا سوداء قصيرة يمسك بها رجل خبيث المظهر توجه نحوي بإحكام و"أفادا كاديفرا"

لقد هزمت! وأيقنت بالهلاك.

لكن التعويذة طاشت بعيدا لأن تعويذة أخرى سبقته.

ليلى تدخلت نازلة بمقشتها السريعة وهي تتفادى التعاويذ ببراعتها المذهلة وتحميني من كل من يحاول المساس بي.

وهنا هربت

بهذه البساطة

لقد أصبحت أخيرا خارج الحديقة المسحورة ولا مانع من انتقالي آنيا وقد منحتني ليلى الوقت الكافي لكي أركز وأصفو بذهني فانتقلت إلى خلف حلقة الحصار وسط التيرولات. التي كانت تحاول في عجز اختراق صفوف السحرة لتحمي زعيمها دون أن تقدر على تفادي تعاويذهم القوية.

هاجمتني التيرولات هي الأخرى بحماقتها لكني انتقلت بسرعة إلى الجانب الآخر واستغللت انشغال السحرة للحظات بقتال التيرولات في الجبهة الأخرى وأخرجت آخر حفنة من بدرتي المخدرة وألقيتها على هذا الحشد الشرس ورحلت مع ليلى تاركا إياهم يتتطوحون كالسكارى.

لم أساعد الأمير فهو مذؤوب ويجب السيطرة عليه دوما وهم لن يقتلوه فهو أميرهم. فقط سأعود إليهم في الوقت المناسب لأشرح لهم الأمر. أما عن الطبيب فأمره مماثل فقد لعن لعنة الذئب هو الآخر. ولولا أنهما لم يعقراني لأصبحت مثلهما!

هربت مع ليلى بعيدا عن هذا الجنون تاركا أصوات القتال العنيف خلفنا ومراوغا لبعض الحمقى الذين طاردونا بالمقشات وأنى لهم اللحاق بنا

كانت ليلى تطير ببراعة تمنعهم من اصابتها ثم أطلقت تعويذة تجميد أصابت الرجل الذ في منتصفهم فسقط وطاشت مقشته لتصطدم بمن وراءه ويلحق به.

وتبقى أربعة مهاجمين فأخرجت من جعبتي الواسعة حيلة أخرى. سلاح فتاك أطلقته عليهم فانطلق صراخ اثنين منهما وهويا يسرعان إلى النهر يطفئا نارهما فسألتني ليلى وهي تزوغ من تعويذة مرعبة أطلقت شعلة نارية مخيفة فوق رؤسنا "ما هذا."

"إنه مسحوق بسيط وموجود في كل بيت! مسحوق فلفل هندي أسود مطحون جيدا! ملأ أنوفهم وأحرقتهم حرارته!"

ضحكت بشدة ثم انخفضت فجأة واندفعت تطير وسط الأشجار المتشابكة فلم يستكع المطاردين اللحاق بنا ونجونا منهم.

بعدها لجأنا لأقرب قرية يسكنها سحرة من غير الفادال وأرسلت ليلى بومة إلى شقيقتها المقيمة في بلاد الغال تطلب منها المساعدة وإمدادنا بالمزيد من الأدوات والمواد بدلا من

التي خسرناها وتطمئن على حال أبناءنا الثلاثة وتخبرها بمعركتنا مع الفادال وهروبنا.

فقد كانت استنجدت بها عندما وقعت أسيرا وطلبت منها أن ترسل لصديقي زعيم العمالقة في جبال الألب كي يرسل لي من يخرجني من هنا.

والآن لم تعد هناك حاجة لهذا الطلب الذي قد يشعل حربا مع العمالقة تسيل فيها الدماء أنهارا.

مضينا ثلاثة أيام أخرى في طريقنا لقرية الجمجمة ونحن أكثر حذرا هذه المرة فلم نختلط بعامة أو سحرة ونحرص على استطلاع الطريق دوما قبل الرحيل.

ولم أخبر ليلى أنني أستعين بثعابين الجحور أطمأن منها على الطريق وليتني فعلت

فقد أقمنا ليلتنا في كهف قريب من قرية الجمجمة لنرتاح قليلا ونجمع زمام أمرنا قبل الدخول لذلك المكان الخطر ولو أنه بعد مضي الأيام القمرية تضائل هذا الخطر كثيرا.

استيقظت لأجد عدة ثعابين مقتولة! فقد شاهدتها ليلى فخشيت منها وقتلتها واحدا تلو الآخر حتى أبادت كل

الثعابين حولنا وأنا نائم وقالت أنها تخشى أن تكون جواسيس لشر ما

قلت ساخطا "يا ليلى. جواسيس من. لسلازار سليذرين مثلا؟ أنت تعلمين أنه صديقي وقد أنقذ حياتي من قبل وهو حليف لنا ولروينا التي أرسلتنا لهنا كما أنه لا يوجد ما يهمه في هذه البلد."

ردت بعصبية كما تفعل كلما أصابها جنون الشك " وماذا عن أبناءه وأقاربه الذين يتحدثون بلسان الثعبان مثله؟ أنسيت أن بعضهم من مؤيدي دراسة فنون الظلام ويناصبونك العداء؟ "

لم يكتمل النقاش لأننا وجدنا الفادال يحيطون بنا!

****

محاكمة وتكريم

لقد تتبعوا البومة التي أرسلتها لنا شقيقة ليلى!
لحظوا البوم الذي أرسلناه وانتظروا عودته في صبر حتى عاد لنا فتتبعوه!
أمسكوا بنا وأحكموا وثاقنا واقتادونا يبغون محاكمتنا على جرائمنا كما قال مترجمهم.
كانت المحاكمة أمام مجلس السحرة السباعي وهو جماعة جديدة تدعو لتنصيب سبعة سحرة في كل بلد لتقوم بالحكم بين السحرة في قضاياهم. وصحيح أن أغلب جماعات السحرة ومدارسهم لا تعترف بهم لكن الواقع أن الجميع يلجأ لهم كقضاة محايدين عندما يحدث خلاف بين ساحرين من جماعتين مختلفتين.
أسعدني هذا فهو يعني أن المحاكمة ستكون عادلة أجلسونا نحن الأربعة (أنا وليلى والأمير والطبيب) على مقاعد حجرية ما أن جلسنا عليها حتى خرجت من أجنابها أصفاد قيدتنا بإحكام
وأمامنا رصت مقاعد سبعة في شكل قوس للقضاة.

وعن يميننا ثلاثة مقاعد لرجال الفادال الذين يتهموننا .
وعن يسارنا ثلاثة مقاعد فارغة المفترض على الأرجح أنها لمن يدافع عنا يقف جوارها رجل يمسك بقرطاس طويل هو حاجب المحكمة.
ومن خلفنا احتشد المتفرجين في مقاعد تكمل شكل المحكمة دائرة كاملة.
ثم أتى سبعة من السحرة وجلسوا في مقاعد القضاة ولأول مرة أصاب بهلع حقيقي فقد كانوا أطفالا!
هذا أقل ما يوصفون به فأولئك الذين سيحاكموننا أكبرهم لا يزيد عن الثمانية عشر عاما وأصغرهم لم يكتسب صوته خشونة الرجولة بعد! يبدو أن مجالس السحرة السباعية تعاني من نقص حقيقي في اعداد رجالها!
نظرت لرفاقي فوجدت ليلى قلقة مثلي وهمست لي "هؤلاء سيسهل التأثير عليهم. يجب أن ....."
لم تكمل همسها لي فقد تكلم الأمير محتجا
"أنا الأمير فريدريك قاهر تنين أنجوريا وقاطع رأس الشيطان بيفان ابن الأمير فريدريك ذابح الباسيليك ومدمر قبائل الفون وسيد العمالقة في كل بلاد الجرمان حفيد الامير

إنريك مستعبد الترولات وسيد سلالة الفادال العظيمة المنحدرة من نسل الفرعون المدمر سيد الأهرامات ورافع أبي الهول ولي السيادة على كل هذه البقاع من التلال حتى النهر وليس لي أن يحاكمني أطفال. هذه إهانة للفادال لم نتوقعها عندما قبلنا حكمكم."

قال كبير القضاة بصرامة تفوق عمره "لم يحن وقت التعريف بالأسماء بعد ومع هذا تبجيلا لك سنسجل تعريفك من الآن. اعتراضك على القضاة لا محل له ولن ينظر له إلا بعد المحاكمة أيها الأمير فأنت هنا متهم فقط تحاكم أمام العدالة وليس أمام أطفال كما تزعم."

تعالت صيحات محتجة من الفادال الذين يحاكموننا! رغم كل شيء هم يبجلون زعيمهم كثيرا.

دق القاضي بمطرقة ثقيلة أمامه على جرس صغير كان معه فتعالت رنات مريعة صمت آذان الجميع حتى أجبرتهم على الصمت فتوقفت وحدها.

تكلم القاضي "لن أسمح بالفوضى في محكمتي. أيها الحاجب أخرج كل من ليس له علاقة بالمحاكمة من هنا."

أشار الحاجب بعصاه متمتما بتعويذة ما فإذا بقيود تخرج من مقاعد المشاهدين تقيدهم بها ثم طارت هذه المقاعد بحمولتها بعيدا!

تكلم أصغر القضاة سنا "لتبدأ المحاكمة."

نهض زعيم الفادال وقال "أنا هاينيشيوس ابن الباس كبير حكماء الفادال وزعيم عائلة البريلكيين العريقة ومسير أمورهم إلى أن ينتخب أميرنا الجديد."

ثم نهض ثاني رجالهم وقال كلاما كثيرا معرفا بنفسه مليئا بالفخر الأجوف هو الآخر وأتبعه الثالث بقصائد تتلو نسل عائلته النبيل منذ ثلاثة قرون حتى الآن.

استغرق هذا التعريف وقتا طويلا ثم أشار القاضي لهم ليجلسوا وقال "ما اتهامكم."

رد كبيرهم "تدمير حديقة مسحورة لنا ونشر مرض غامض ملعون بين رجالنا ومساعدة الأمير الملعون على الهرب ومقاتلة رجالنا الذين حاولوا حفظ الأمن وقتل عدد من ترولاتنا."

التقط القاضي نفسا عميقا كأنما يستجمع حزمه وقال "ولمن توجهون التهمة. أشيروا لي."

أشار ثلاثتهم نحوي! وقالوا معا "والباقون شركاءه في الجريمة."

"من يمثلكم في الادعاء."

"نمثل أنفسنا."

"إذاً أعلن بدء المحاكمة بهذه التهم."

ثم نظرب نحو مقاعد الدفاع الخاوية وقال "من يمثل المتهمين في الدفاع؟"

رد الأمير فريدريك "أمثل نفسي." ثم أعاد قصيدة التمجيد في الذات التي تلاها من قبل تعريفا بنفسه.

نظر القاضي للطبيب فقال "الأمير يدافع عني."

أشار أحد القضاة الباقين له فانحنوا مقبلين على بعضهم يتشاورون ثم اشاروا لكبير الادعاء فأتى وخاطبوه قليلا وبدا النقاش حاميا وأن الفادالي يرفض أمرا ما فأشار له القاضي الكبير بحزم ليعود لمكانه ثم قال

"لا بأس فأنت عامي ولذا نعفيك من التهم وأطلق سراحك فورا "

بدا الاحتجاج على وجوه رجال الفادال فأطلق القاضي رناته المؤلمة ثانية وقال بحسم "قرارنا نهائي. العامة لا يخضعون

لمحاكمات السحرة السباعية إن كان لكم رأي آخر فحاكموه عند أميره."

بعد أن استعاد هذا الصبي القوي زمام المحاكمة أشار لنا "من يمثلكم"

قالت ليلى "أمثل نفسي."

رد "ليس لامرأة أن تمثل نفسها في محاكمة السحرة."

"ولماذا؟"

"هذا هو القانون."

لكن زوجتي عنيدة وتحب التحدي لذا فقد أصرت على رأيها وأخذت تجادل القاضي فأطلق عليها رناته مرة أخرى حتى أخرسها وقال بصرامة "اختاري مدافعا عنك من السحرة."

ردت بتحد "لا اختار إلا هيلجا هافلباف سيدة بني هافلباف!"

صمت القضاة بعض الوقت قبل أن يقول القاضي الكبير بهدوء "لا يمكن استدعاء السيدة هافلباف لأنها والدتي! ولن تكون المحاكمة عادلة إن شاركت فيها."

أخيرا علمت من أين أتى هذا الفتى بتلك الصرامة! طبعا يجب أن يشب على شاكلة والدته!

قلت للقاضي "سيدي أطمع في عدالتك. نحن نطلب سلازار سليذرين وجودريك جريفندور وميردويك الروماني كمدافعين عنا"

ساد صمت ثقيل على القاعة فقد ذكرت أسماءً ثقيلة يهتز لها الجميع حتى أهالي الجرمان المنغلقين على أنفسهم.

قال القاضي بعد وهلة "ءأنت ذاك السيميائي الذي بنى قلعة هجوورتس؟"

انطلقت شهقات عدة متعجبة عندما أجبت بالإيجاب وأدركت حينها أنني مشهور أكثر مما أظن.

قال القاضي "أسمح لك بالدفاع عن نفسك وأؤجل أمر الدفاع عن السيدة لما بعد. فلو ثبتت براءتك فستسقط التهم عن شركاءك دون محاكمة."

وهنا أطلق الحاجب سراح الطبيب ونقل الأمير وليلى بعيدا عن المحاكمة وبدأت محاكمتي.

بدأ كبير الفادال الذي أخذ يصف خطورة المرض الذي أصاب أميرهم فسأله القاضي "هل بدأ المرض بعد مجيء السيميائي المعروف باسم الباحث إلى هنا."

"بل قبلها بشهر."

"إذا فتهمة اطلاق اللعنة أسقطت. أيها السيميائي أنت معروف ببراعتك في علاج الأمراض ألا تدرك ما هذا الوباء الملعون؟"

"إنها لعنة المذؤوب حتما. ارتحلت من رومانيا حتى هنا وقد استشرت. وقد أتيت خصيصا لتحذير الناس منها ومكافحتها."

قال كبير الفادال "أتتصور أننا من الجهل حتى لا نعرف المذؤوب؟"

"لم تروه من قبل ولم تتصوروا أنه سيخرج من رومانيا حتى هنا رغم جهود الأمير خاليوس الوالاشي لحصاره. هناك قوة شريرة ما نقلت الداء حتى هنا وسيدمر كل البلاد لو لم توقفوه."

فتح كبير الفادال فمه ليتكلم فقاطعه القاضي الصارم " هل تعرف أيها المدعي علامات المذؤوب؟"

"طبعا ولكن....."

"هل وجدتها فيما أصاب الأمير؟ فكر وتذكر."

صمت الرجل قليلا ثم حنى رأسه مستسلما وقال "نعم."

قال القاضي بلهجة منتصرة "إذاً أسقط كل التهم وآمر عشيرة الفادال بمعاونة السيميائي تعويضا له على ما أصابه."

لم أصدق ما حدث وغمرتني الفرحة وانفض مجلس القضاء هذا فأسرعت أشكر القاضي

"أتشكرني على الحكم بالعدل؟ اسمح لي بالقول أنني أعتبر هذا إهانة."

" لا انتظر غير هذا من ابن هيلجا و سكريجمور. هذا الشبل من ذاك الأسد."

هنا أتى لي كبير الفادال ليعرض خدماته فقال له القاضي "ساعدوه بقدر ما تستيطعون. ولم أتصور أيها المتباهون بنسل الفراعنة أن تؤذوا شريكا لكم في النسب فهو أيضا أتى من أرض الفراعين."

وكأنما كان لكلماته مفعولا سحريا ! فقد كرمني هؤلاء القوم أشد التكريم أنا وزوجتي وكانوا لنا خير المعين. وأدركت أنهم متجهمون ومنغلقين على أنفسهم لكنهم ليسوا بالصورة التي كانت تصفها ليلى. صحيح أن بين أهل هذه البلاد دعوات شريرة ونعرات عنصرية بغيضة لكن أغلبهم وخاصة

الفادال يحترمون الحق والعدل كثيرا لذا فقد أحببتهم وسعدت بأيامي التي قضيتها معهم.

****

حروب خفية

عزيزي ليو

ربما تندهش لارسالي هذه البومة لك من خلف ظهر هيلجا, حسنا أنت أن تعرف والدتك تخفي القليل عن سلازار, وأنا في أشد الحاجة لإخفاء طلبي هذا عن كل آل سليذرين.

هناك تغير رهيب يحدث في العوالم السفلية للسحرة, أحزابجديدة تنشأ ولم تبدأ بحربنا بعد لإنشغالها بحربها مع بعضها البعض. أن واحد من القلائل الذين يعرفون بأمر تلك الصلة السحرية بين أخواتي المجنونات اللاتي يسمين أنفسهن تربلينا. كنت من ساعدني في صنع تاجي السحري الذي يمنحني القدرة على الوصول لعقولهن كما يستطعن الوصول إلى عقلي بفعل تلك التعويذة المريعة اللاتي ارتكبنها ضدي وأنا طفلة.

أووه أنت تعرف خالتك روينا, فتاة كثيرة الثرثرة وأنت شاب كثير التجهم قليل الصبر! لا تتأفف سأخبرك بما أريد فورا.

أنت تعرف قصة هزيمتي لتربلينا, الكل يعرفها حينما وأدت هذا الشر العظيم وهو مازال في مهده بعد أن تغلبت أعني

تغلبن على سلازار وكدن يقتلنه مرتين. ما لا يعرفه أحد سواي أن تعويذة سلازار الجبارة العجيبة التي استخدمها وهو يحتضر قبل تدخلي في المبارزة الأخيرة قد أصابت واحدة من أخواتي إصابة مريعة وهو ما كسر تكامل قواهن الثلاثية وسمح لي باختراق تعويذة الحجب التي كن يمارسنها ضدي كي أستطيع هزيمتهن. تماما كما تنبأ لي جدنا جريجوري بعد أن انقذ حياتي من باب الشياطين الذي القيننني فيه مضرجة بالدماء. هذه قصة طويلة مرعبة ربما أقصها عليك ذات يوم! ها أنا قد عدت للثرثرة واجترار الذكريات, لعلك لم ترحل إلى جرمانيا إلا هربا من لساني السريع!

لأدخل في الموضوع: لسنوات ظللت أشعر بضعف وتدهور قوة الثلاثة. ثم مؤخرا شعرت باستعادة جلينا المصابة لعافيتها بطريقة غريبة ضاعفت من ارتباطنا العقلي وهو ما يعني ارتباطها بباب الشياطين الذي استمد منه ثلاثتهن قواهم الخارقة.

بدأت أعد العدة للحرب القادمة لكنها لم تأت, فكل جهود تربلينا كانت في نشر الفتن والحروب بين العامة وبعضهم

والسحرة وبعضهم تمهيدا لعودة كبرى بعد أن يضعف الجميع.

هذا تغير مؤخرا!

هناك قوة أخرى جديدة سرية تهدد تربلينا وتتحرك بعنف ضدها! استعادتها لقوتها جذب لها انتباه قوة خامدة متربصة كالثعبان وسعت للتخلص منها والاستيلاء على ما تمتلكنه من أدوات وأسلحة وتعاويذ يظن الناس أن لا أحد يعرفها غيرهم. تعاويذ أنا الوحيدة التي تعرفها وتعرف كيف ترفعها. النبوءة حددتني كالمكافئ الذي سيلجم قوى تربلينا لكنها لم تتحدث عن الوريث المجهول الذي سيستولى على قوتها.

لماذا أخبرك بكل هذا؟ لأنك يا عزيزي قد منحتني أدلة بما قصصت عن صديقنا السميائي وما حدث له في جرمانيا ووالاشيا. هذا السميائي الساذج هو محور معركة كبيرة ما بين الفريقين, لم أفهم حتى الآن من يريد ماذا لكن أحدهما يريد التخلص منه بشدة والآخر يريد حمايته. ما يصلني من اشارات يبدو مختلطا في الحقيقة حتى أكاد أزعم أن في كل معسكر فريقين أحدهما يريد قتل السميائي والآخر يريد استغلاله.

لا تخبر أحدا بما أخبرتك, لكن بما لك من نفوذ وعلاقات ضع عينيك على الرجل وأسرته. هناك الكثير من الشر لا أعرف لماذا لكنه يدور حوله بقوة. لو انفجر كل هذا الشر فثق أن مأساة كجيندل ستذكر في التاريخ على أنها مشاجرة بسيطة سبقت أهوال حروب تريبلينا (أو وريثها المجهول) القادمة.

خالتك المحبة الثرثارة: روينا

****

تقول ليلى

كانت أيامنا في بلاد الجرمان صعبة وخطرة. واجهنا هجمات مذؤوبين كثر. وأحد السليذريين حاول قتلنا بتحريض الثعابين علينا لولا أنني استيقظت في الوقت المناسب لأتخلص منها ثم احتجزنا الرجال الهمج لجماعة الفادال وهم كغيرهم من أهالي جرمانيا متوحشين يميلون للأذى لكنهم على الأقل لا يتحالفون مع أحد فأمنت من شر أعداء زوجي أن ينالونا ونحن بينهم. لحسن الحظ كان أميرنا معهم إذ عالجه زوجي من جرح ملعون أصابه فعقدوا لنا محكمة سباعية سخيفة تهدف حفظ ماء وجوههم قبل أن يطلقوا سراحنا. وعلى الأرجح أرادوا أن ننقذهم من هذا الشر الذي يستشري في بلادهم فتذللوا لزوجي في المحكمة السخيفة التي ترأسها ابن هيلجا هافلباف المتعجرف. حين أعود لانجلترا سأطلب من أمه أن تلقنه درسا في احترام النساء! هذا المتخلف الهمجي يعتبر أنني لست أهلا للدفاع عن نفسي في المحكمة. تبا له! لولا أمه لأخرجت عصاتي الثانية وحولته لأنثى فأر ليذوق كيف تكون المهانة الحقة! لكني لا

آمن أن تحولني أمه إلا ذكر ذبابة مشلولة الجناحين تغرق في مستنقع عفن!

انتهى الأمر على خير وتوجهنا إلى مصدر الداء الأول في قرية الجمجمة التي سكنها المذؤوبين ودخلنا في معركة طاحنة ضدهم. لحسن حظنا لم نكن في وقت البدر وكانوا منهكين من التعب والمرض فتغلبنا عليهم وبدأت مع زوجي في التفكير في السيطرة عليهم.

لو ترك الأمر لي لأمرت بذبحهم جميعا والخلاص من لعنتهم لكنه يراهم بشرا ولا أملك إلا أن احترم روحه الانسانية المرهفة. هم حقا بشر لكنهم خطر على البشرية كلها حينما يسطع القمر.

لست قاسية. ولو لعن واحد من أبنائي لحميته من القتل بروحي ولكن الأمر عويص وأخشى على نفسي وأبنائي منهم.

في البداية لجأنا لجمعهم في عدة سجون مسحورة وعندما سطع البدر الجديد أخذوا يقتلون في بعضهم البعض وهنا أتت لزوجي فكرة رائعة.

قمنا بتوزيع كميات كبيرة من المخدر على المصابين وأدخلناهم في نوم عميق طيلة أيام البدر. وقد أخذ عنا هذا العلاج حلفائنا الجدد من الفادال.

رحلنا عن جرمانيا وقد زدنا من أعدائنا وحلفاءنا مرة أخرى. اليوم هناك جماعة من المذؤوبين الحقودين يترصدون لزوجي ومقابلهم رجال الفادال الحمقى الذين تمسحوا به يتصورون أنهم بهذا يؤكدون نسبهم المزعوم للفراعين بناة الأهرام!

ذهبنا إلى رومانيا حيث أكرمنا أهلها واستقبلونا استقبالا حافلا. كانت شهرة زوجي تزداد كرجل يجد العلاج لكل مرض مستعص ووالاشيا وترنسلفانيا هم أرض اللعنات المستعصية فتح لي هذا خزائن الكتب جميعا فانكببت أبحث عن حلم حياتي حجر الفيلسوف وعثرت في قلعة الكونت دافيد الوالاشي على بعض الأبحاث القيمة التي استخدمت اكسير الحياة كمحاولة لإنقاذ ضحايا مصاصي الدماء.

لكن الأيام السعيدة مخادعة. لولا يقظتي لهلكنا أنا وزوجي بعد أيام من وصولنا. هناك شخص ما يحقد علينا بشدة

ويدبر لنا محاولات متعددة للاغتيال رآها زوجي صدف عادية من طبيعة البلاد الخطرة.

أهي صدفة أن ينتظرنا حفنة من المذؤوبين بمجرد خروجنا من قصر الكونت خوليوس؟ أو أن نجد في الليلة التالية مصاص دماء متنكر في شكل خفاش يختبئ في صوان ملابسه؟ وماذا عمن ترك جاثوما قاتلا في حجرة نومه كان يمكن أن يخنقه وهو نائم لولا أنني قضيت عليه؟ الجاثوم نادر جدا ولا يملكه إلا قلة من أساطين السحرة وحتما أثار زوجي حقد أحدهم بدعوته الحمقاء لمساعدة العامة. تلك الدعوة التي ستهلكنا حتما.

ولا أنسى ذلك اليوم الذي انتزعني فيه زوجي من الفراش وهرب بنا قبل لحظات من هجوم تنين مجنون على القرية التي كنا نتجول بين أهلها نعالج أمراضهم. لا أدري كيف علم بهذا الهجوم قبل وقوعه ولكني أشك أن سالازار سليذرين بنفسه قد حذره منه فقد رأيت أفعى تجري مبتعدة من حجرة زوجي يبدو أنها كانت تحمل رسالة من سالازار. لا يوجد أي نبأ عن وجود سليذرين في رومانيا لذا فإنقاذه زوجي لا يزيدني إلا شكوكا فيه. هو يريد منه شيء ما فلا يريد موته

لكنه حتما ضليع في تلك المؤامرات وإلا فكيف عرف بهجوم التنين قبل وقوعه؟

كانت أيامنا في رومانية صعبة وقاسية علي رغم الأبحاث المفيدة التي حصلت عليها. الخطر الدائم يرهقني لذا أصررت على الرحيل لمكان آمن.

قضينا أياما قليلة في مصر موطن زوجي. كانت أحوالها مؤلمة وهجمات الصليبيين تهددها وقد شاهدت من أفعال العامة في إخوانهم عامة الشام ومصر مذابح لم أتخيلها أبدا وأشعلت في قلبي الرعب على مجتمع السحرة.

الآن فهمت دعوة سليذرين للرحيل والاختفاء بعيدا عنهم. التعصب والقتل والعنف في هذا الزمان يجبرنا على النجاة بأنفسنا بعيدا عنهم.

لم نبق كثيرا فقد اكتفى زوجي بتقديمي وأبنائي الثلاثة لأنسباءه هنا ولم يحتمل البقاء في البلاد التي عشقها وهو يراها تتحطم تحت ضربات دموية لا معنى لها ولا هدف إلا الأطماع الدنيئة.

وقد أحزنني هذا فقد كنت بدأت في فك بعض طلاسم الأهرامات والمعابد وحصلت على علوما كثيرة ولو كان

زوجي معي فيها لربما فهم منها أكثر مني. لكنني لم أرحل دون غنيمة لا بأس بها من لفائف البردي القديمة!

بعد تلك الأجازة القصيرة في مصر رحلنا إلى اليونان نكمل أبحاثنا وهناك أدركت أننا في وسط حرب خفية.

كان قد أصبح لزوجي دون أن يدري أنصارا كثر يحملون دعوته بأشد مما يحملها هو. وقد أدركوا مثلي ما يتعرض له من هجمات خاصة بعد أن اعترف الجني المنزلي الذي كنا اشتريناه بأنه مدسوس علينا من سيده ليدس لنا السم في الشراب.

كان أمرا مفزعا ولولا أن زوجي قد أحسن معاملة هذا الجني بلطفه الغريب مع تلك المخلوقات لهلكنا حتما. ولم يرض الجني بأن يفشو باسم سيده الحقيقي بل قتل نفسه عقابا لأنه لم ينفذ المهمة!

وعندها قام عدد من المتهورين بإحراق منزل أحد مدرسي السحر الأسود انتقاما.

ثم حدثت هجمات بالديمنتورات وانتشرت عدة لعنات غريبة تنشر أمراضا وإصابات لم نرها من قبل بين الأبرياء وبذلنا

مجهودا خارقا في علاجها أضاع جهدي الذي كنت أدخره لحجر الفيلسوف.

وأتى الرد من أنصار زوجي وغيرهم من اهالي الضحايا فعثر على جثة أحد دعاة الدم النقي ممزقة في الطريق!

وبعدها أحرقت مدرسة صغيرة أثناء الليل وطرد عدد من الحداريم خارج البلاد فقتل تسعة من تلاميذنا بطريقة غامضة. وهاجم تنين عدة قرى قريبة وحدثت هجمات للمذؤوبين.

وكان الأمر أظهر من أن ينكره زوجي لكنه فسره كالعادة بذلك الزعيم الغامض الذي ورث بروم جريندل في زعامة أتباع الظلام. إلا أنه في النهاية قرر انهاء هذه الحرب الخفية بابتعاده عن البلاد ورحل معي عائدا إلى رومية. كان هذا أول قرار صائب من فترة, لم يحتمل ضميري ما يحدث لخصومنا من حماتنا المجهولين ولا ما يحدث لأنصارنا الأبرياء من خصومنا المتوحشين.

لكن كان زوجي يكره أهل روما الذين اتبعوا الحبر الأعظم لغزو بلاده والذين استعبدوه وأذلوه عدة سنوات. ولم يجد إلا ترحيبا مماثلا منها! فقد اضطر ميردويك إلى التخلي عن

صداقتنا بعد أن تزايد أعدائنا. وعانينا في البندقية أياما سوداء لا نجد منزلا يضيفنا ولا مكانا يحمينا من شر أعدائنا.

لم يحاول أحد قتلنا هنا لكن المؤامرات حيكت لإجبار الجميع على نبذنا وكان رد زوجي المتحد هو اللجوء لعمالقة جبال الألب. الكل يكره العمالقة لعنفهم وقسوتهم لذا كانت خطوة زوجي سيئة جدا علينا. كما أن العمالقة لا أمان لهم صحيح أنهم يخشوننا لأنهم يظنوننا نملك أن نصيبهم بالمرض كما نعالجهم منه لكنهم يعشقون القتل والتدمير وكل يوم يتمردون على بعضهم البعض. فإن صادقت زعيم اليوم فقد عاديت زعيم الغد!

ألم وعذاب لا مبرر له أدخلنا فيه زوجي. واضطررنا لإنهاء رحلتنا الطويلة دون العثور على طريقة صنع حجر الفيلسوف والعودة لانجلترا إلى أن تهدأ تلك الحرب الخفية التي أشعلت ضدنا.

****

سيدتي العزيزة واستاذتي المبجلة روينا رافنكلو
اسمحي لي ان اتعجب من لجوء ساحرة بمثل قوتك وعظمتك وحكمتك على طلب معونة فتى مثلي. هذا شرف لي يجعل طلبك أمرا يسيطر على كل حواسي.
تابعت سهم السميائي وفعلت ا كان يجب أن تفعلينه أنت ووالدتي وعماي سلازار وجوديك! سألت عنه وتحريت عنه وتتبعت عبر أصدقائي في مصر واليونان نسبه.
الأمر صراحة كلفني جهد ومال (سأرسل في طلب النفقات لاحقا) لكن هذا ما عرفته عن ماضيه وأصله وقدراته, كثير منه صراحة ينتمي إلى تخاريف وأساطير سحرية غير مثبتة.
الرجل ينتمي لسلالة عريقة منسية من سحرة الفراعنة سمى ذوي الناب الأزرق, وهي سلالة هجرت السحر منذ أربعة آلاف عام بعد أن أجبرها على هذا ملوك الفراعنة بسبب تسببهم في فوضى وخراب وفيضانات مريعة.
يقال (وهو زعم غير مؤكد بل في الحقيقة مستهجن) أن من أبناء هذه السلالة من يولدون وهم يحملون نابا سحريا أزرق, يمكنهم في أوقات الخطر والضعف والقتال وأي حدث

يحرك مشاعرهم بقوة من سرقة قوى من حولهم سواء سحرة أو عامة واستخدامها لصالحهم سواء بقصد أو عن غير قصد. منذ ألفي عام ظهرت فرقة من الحداريم تقوم باصطيادهم وقتلهم لاستخدام نابهم هذا في أعمال معينة كقتل الخصوم باستنزاف قوتهم أو إضعاف الشياطين ومخلوقات سرية شريرة أخرى لتسخيرهم للخدمة. أدى هذا لشبه انقراض لهذه السلالة في كل أوروبا.

إذا صدقت هذه المزاعم أو كان هناك من يصدقها فهذا يعني أن السيميائي مهم لأعمال تربلينا, وأنهن إن وصلن له فسيستطعن الولوج لدرك الشياطين العالمة مرة ثانية دون الحاجة إلى استخدام دمائك.

الأمر خطير وحساس, شخص مثلي قد يفكر في قتل الرجل درءا لشره وهو ما سترفضينه طبعا كما أنني لا أعرف كنه هذا الناب الأزرق وقد يستعيده شخص من جثته فأكون سهلت عليه المهمة. نفيه إلى عالم آخر أو سجن سحري ليس مضمون العواقب فالرجل كما رأيت يمتلك قدرات غريبة تجعل السحر بالنسبة له ذو قواعد مختلفة.

رصدت شجارا ومعارك كثيرة حول الرجل وأسرته يبدو أن هناك سباق للحصول على نابه الأزرق ممتزج بحيرة أن يكون حيا أو ميتا. الحل الوحيد في رأيي أن نجبره على العودة إلى انجلترا كي يكون تحت عين وحماية الأربعة العظام.

تلميذك المخلص ليونارد هافلباف

****

الطاعون

بعد أن غادرت أراضي الجرمان زرت عدة بلاد أثناء بحثنا عن حجر الفيلسوف مثل روماني واليونان وفرنسا مصطحبا أبنائي هذه المرة.

ذهبت لبلادي قليلا ليشاهد أبنائي الأهرامات ويتعرفوا على قومي هناك وزرت بعضا من البلاد التي عشت فيها في الشام وأحزنني أن رأيت بعض القلاع والقصور التي بنيتها قد آوت أمراء الفرنجة بعد أن تخلى عنها أصحابها بكل جبن وخسة.

لم أحتمل البقاء ومشاهدة هذا الهوان طويلا. وفكرت انني إن عدت وأقنعت السحرة بمساعدة العامة وتصديق مبدأ السيميائي الذي يساعد كل من يحتاج المساعدة فربما يأتي يوم أعود فيه على رأس جيش منهم يطرد الغزاة من هذه الأرض بقواهم الرهيبة ويحلل السلام في كل العالم ليس بين العامة والسحرة فقط وإنما بين العامة والعامة.

لكن أحلامي تحطمت على صخرة الخلاف بين السحرة والسحرة! فما أن بدأت لأول مرة في تكوين جماعة من

التلاميذ تأخذ بأرائي حتى انقلب علي الكثيرون وتعرضت لأيام صعبة واضطررت للعودة لانجلترا مقهورا.

هناك استقبلتني روينا استقبالا حافلا ورحب بي سليذرين كعادته وأتى جريفندور من سفره البعيد ليلقي علي التحية أما هيلجا فقد تحاشيتها حتى لا تصطدم بزوجتي التي مازالت حانقة على ابنها!

كما أنها كانت الوحيدة الآن التي تعلم بنبأ زواجنا الذي مازالت حتى اليوم تصر ليلى على كتمانه عن سليذرين وأصحابه! ففضلت ألا أثير الأمر معها أمامهم.

قلل الأربعة العظام كثيرا من مخاوفي. قالوا أن أتباع الشر دوما كان لهم قائد أو قادة لكن خطرهم محدود حتى أنهم يعملون في الخفاء. مازال أهل أوروبا سذجا لا يدركون خطورة العمل في الخفاء ومدى شراسة تلك الجماعات السرية. لو علموا شيئا من تاريخنا لسمعوا كيف أن حركة العباسيين السرية أسقطت الدولة الأموية الفتية وكيف أن أهل الاسماعيلية أثاروا الرعب والدمار بحركتهم السرية بل إن هذا الداء (داء الجماعات السرية المخربة) أرى أعراضه

تظهر بين عامة أوروبا جزاءا وفاقا لحروبهم الصليبية الظالمة.

أما السحرة فقد اعتادوا أن يظهر الزعماء أنفسهم ويجبروا الناس بالقوة على الانضمام لهم لذا فإنهم لا يدركون مدى خطر هذا الزعيم الغامض الذي يعمل في الظلام وينظم الجموع انتظارا للحظة المناسبة.

إلا أن كلماتي تركت أثرا قليلا. والكل مقتنع أنه لن يجرؤ زعيم على الدعوة لفنون الظلام أو إحياء دعوات الأرقط وجريندل طالما كان الأربعة على قيد الحياة.

ثم أتتني الاستغاثة.

طاعون غريب يفتك بأهل قرية في بلاد الجرمان. استغاث بي أهلها الذين يذكرون لي مواجهتي للمذؤوبين. يبدو أن هذا الزعيم الغامض يستهدف تلك البلاد بشدة.

رحلت وزوجتي وأبنائي إلى تلك القرية فصدمت من حجم تفشي الطاعون اللعين.

كانت حمى شديدة ونزف دماء عنيف ولا شيء غير الموت بعد أيام.

والمرض ينتشر ولا يفلح معه أي علاج ولا أجد له ذكرا في الكتب القديمة وحتى لا أدري إن كان لعنة سحرية أم مرضا عادي جديد.

والأدهى هو هجمات الديمنتورات الكثيرة التي وجدت في اهل القرية فريسة سهلة أو أن هناك من حرضهم عليها بعد ظهوري بها.

وقد رجح هذا عندي أن هذا الوباء مرض سحري أطلقه عبدة الشر أتباع فنون الظلام.

ولم أملك إلا القليل. فقط التخفيف من آلام الناس والموت يحصدهم حصدا.

التعاسة والموت والخطر والخراب

لا اجد غيرها يحيط بي

العجز له مذاق مر في فمي

الشر يربح جولته وأنا أضيع حياتي عبثا.

تبا لهذا الأمر اللعين

.تبا لكل شر مؤذ

تبا لكل من لجأ للسحر والكفر بغية التدمير

لقد اصيب أبنائي الثلاثة بالحمى

****

يرفع إلى جلالتها الإمبراطورية

مولاتي تربلينا

انتظر منك أمرا مباشرا وأرجو حقا أن يكون أمرا مباشرا منك شخصيا للتصرف بشأن لعنة الفيتاليس والسميائي المصري. هنا اتباعك المخلصين في حيرة لا يفهمون شيئا فهناك أوامر تأتي بالقتل ثم بالحماية. اللعنة تم نشرها ضد اعداء الامبراطورة لكن شخص ما حولها لتصيب اتباعها أيضا. لم يصلنا رد من القصر الامبراطوري منذ فترة وما يأتينا الأمراء المبجلين متناقض بين أوامر المشرق أوامر الوسط.

مولاتي المبجلة, رجالي مقتنعون أن هنالك جواسيس يستولون على قنواتنا ويستخدمون أسلحتنا ورجالنا لأغراض خاصة بهم. هذه الخيانات أفقدتنا الثقة ولن نستعيدها إلا بظهورك الشخصي.

المخلص والمطيع لك دوما

ارجنتو بلازني

لا يرفع إلى جلالتها فقد يكون فخا لإخراجها من القصر وتعريض حياتها المقدسة للخطر. يختار ثلاثة من السحرة للتحقيق في أصل اللعنة ومن أمر بها وزيادة التنسيق بين أمراء الوسط والشرق

حاجب القصر الامبراطوري جاليوس فلامل

****

أحزان ليلى

تقول ليلى:

بدأت متأخرة أصدق ظن زوجي في أمر المؤامرة التي يدبرها أحد ضد جماعات السحرة في جرمانيا (المانيا).

أعني أنه من الملفت للنظر تتابع تلك الكوارث عليهم فأولا هجمات المذؤوبين ثم ثورة التروﻻت الحمقى التي يستحيل ان تثور ما لم يأمرها أحد بذلك وأتبع هذا حرب مع كبير عمالقة الألب الذي لولا وساطة من زوجي لدمرهم عن آخرهم ثم ثورة أِخرى للأقزام ولو أن هؤلاء ثوراتهم معتادة.

وبعد كل هذا أتتنا استغاثتهم من طاعون مريع لا يبقي ولا يذر.

لو كان الأمر سحرا أسود حاقد لما اختار الألمان هدفا وهم يمارسون السحر الأسود بلا حرج ربما كانت انجلترا حيث حرم جودريك جريفندور هذه الفنون أو فرنسا حيث فرض أنصار جودريك ومن ينافقونهم من السليذريين نفس الأمر هدفا أفضل.

يرد زوجي مكابرا بأن هذا لأن ألمانيا أقرب لهذا الزعيم الغامض.

فلتقطع ذراعي إن لم يكن الزعيم الغامض المزعوم سليذرينيا أو من حلفاء سليذرين فهؤلاء هم أشد من تضرر من هذا التحريم.

إن من يريد ضرب جماعات جرمانيا يريد ضرب استقلالهم وانعزالهم بأنفسهم.

يقول زوجي أنني أرى صراع السياسة في كل مكان فأرد بأنه يرى صراع الخير والشر في كل مكان.

حتما أتباع سليذرين الذين ينادون بالانفصال عن العامة وراء هذا الأمر. فتلك الجماعات هي آخر الجماعات المتصلة اتصالا قويا بعشائر مجاورة من العامة.

بعد سقوط الحداريم والذي تأكد منذ ثلاثة أعوام بوفاة آخر كبرائهم لم يعد هناك من يقف في وجه دعوات سليذرين الا جماعتين

بعض العشائر التي تصنع لنفسها عالما خاصا مغلقا يقتصر على من حولها سواء كانوا عامة أو سحرة.

وأنصار الدم النقي الذين يزيدون على سليذرين تطرفا!

هناك أعداء آخرون لاستقلال تلك الجماعات من الذين ينادون بوحدة السحرة في العالم أو الذين يسعون لانشاء حكم للسحرة في كل بلد أو دولة موحدة للسحرة والعامة كبقايا اتباع تربلينا المهووسة.

لن أندهش لو كان هذا الهافلبافي الصغير المتعجرف وجماعته السباعية هم من وراء تلك الجرائم!

على أي حال كان أصدقائنا في محنة وكان علينا أن نساعدهم في التصدي لتلك الجولة الجديدة من الحرب الخفية التي لا يشعر بها الا القليل من السحرة.

أين ذهبت أيام جريندل عندما كان كل شيء واضح ويعرف المرء أعدائه من أصدقائه؟

لم أجرؤ على ترك أبنائي هذه المرة عند أيا من أصدقائي أو أقاربي.

لم أعد آمن مثلا لمالفوي فهو من أكثر أنصار دراسة فنون الظلام تحمسا وبالطبع يعادي زوجي لهذا الشأن وهو صديق مقرب لكل أهلي فلا آمن أن يفكر في مس أبنائي بسوء إن عرف بأمرهم.

ولا آمن طبعا لسليذرين أن يسعى للبطش بنا إن قرر أن زوجي أقل نفعا له مما يظن. وقد بدأت العلاقة بينه وبين زوج شقيقتي تتوثق فلم أحب تركهم عندها.

وكان هذا أسوأ قرار اتخذته في حياتي.

هو الغرور الذي صور لي أنهم لن يصابوا بهذا المرض.

لكنهم أصيبوا.

لا أشعر إلا بالحرقة في صدري

انتهى الغضب والخوف والقلق والشك

أزاحهم الحزن جميعا

أطفالي يذوون ويموتون ببطء ولا أملك لهم من الأمر شيئا

يقوي عزمي رفيق الحياة بقوله إنما المرض والشفاء من الله وهذا لا يُقنط من رحمته أبدا.

لكني أرى بوضوح صفحة قلبه يسودها الغضب

لا أري الغضب مم؟

لكنه حانق.

يجلس بالساعات بحثا عن علاج في أشباح الكتب القديمة فلا يجد فيقول تبا لهم.

يبحث في اللعنات وفكها وتدميرها فلا يجد فيثور غاضبا ويتوعد بالانتقام.

انه خائف إلى أقصى حد أن تموت ثمارنا.

وخوفه ينتحل الغضب المبهم الذي لا يجد فريسة.

كان قد أصبح واضحا لي أن هذا المرض سحري فهو لم يصب إلا القرى التي يكثر بها السحرة.

والديمنتورات كثرت حول قرية الفادال بمجرد أن نزلنا بها كأنما تستهدفنا.

لقد قرر أحدهم أن وقت الضربة الأخيرة ضدنا قد حان.

لكنها أخطأتنا وأصابت أبريائنا الثلاثة

أجلس أطبيهم طوال اليوم بينما زوجي غارق في بحثه يجرب كل شيء بحثا عن علاج فلا يجد.

لو كان عندنا حجر الفيلسوف. لكنه اليوم أبعد مما كان مسبقا.

كنت قد بدأت اهزم واستسلم فلا يبق لي غير الحزن يلتهمني قطعة تلو الأخرى.

أما زوجي فيسابق الزمن يريد البحث عن علاج فلا يجد.

نقل أبنائي لقلب القبو الذي اتخذناه معملا حتى يجرب كل شيء عليهم مباشرة.

أحضر لي كتبا في التعاويذ العلاجية وسخر تعويذة رؤية الكتب لي كي أبحث عن أي شيء

لكن القضاء المحتوم ليس منه مهرب.

جلست جوارهم منهارة أتأملهم في فزع وقد بدأ النزيف.

النزف هو آخر علامات الطاعون.

يليه الموت بأيام قليلة

أخذت أحدق في بقع الدم التي تكبر وأنا ذاهلة لا أدري من أمري شيئا. كأنما أحدق في عيون الباسيليك فتحولني إلى حجر ميت.

إنهم .....يموتون.

نزف الحياة يتساقط من أجسادهم قطرة قطرة.

نبت أحشائي يقتطفه الموت ببطء وألم.

لم يعد هناك حولي إلا سواد وفراغ

الفناء يحيط بي

أنا أذوي في ظلمة العدم خلف أبنائي

كل نقطة دم تقتطع من الوجود حولي جزءا

هل يتألم قلبي؟

كلا.

لأن قلبي لم يعد له وجود.

لا أشعر إلا بخواء مظلم في صدري

كيف يؤلمني وقد تحولت أنا إلى الألم ذاته؟

دخل زوجي فجأة فنظر لهم في فزع وهتف بي "ماذا تفعلين؟ أين أهداب المورتلاب؟ أين تعاويذ التئام الجروح؟ ألا توقفي النزف إلى أن أعد لهم وصفة شافية."

نزعني من سوادي وأسرعت أكافح بكل قوتي.

يجب أن أهزم الموت المحدق.

يجب.

أخذت أصارع الدم اللعين الذي يقاتل بحثا عن مخرج.

توهجت روحي المقاتلة ونفضت عنها الغبار وملأت صدري بقتال محموم.

ثم رأيتهم.

يتدافعون من البوابة التي نسيها زوجي مفتوحة خلفه

واحدا تلو الآخر يزحفون نحونا ببطء وخبث.

أخرجت عصاي وأنا أحاول السيطرة على نفسي

فكرة واحدة سعيدة. فكرة واحدة سعيدة

تبا لهذا الألم الذي يحجب عقلي

"اكسبكتو باترونام"

لا شيء والديمنتورات تواصل التقدم مني ومن أبنائي

تبا لهم. ليست ليلى فلامل بالتي يهزمها ديمنتور.

"اكسبكتو باترونام."

فقط دخان أبيض أعاقهم قليلا.

لكنهم مصرون. حتما مصرون. لقد أرسلهم أحدنا لنا تحديدا

ولن يتراجعوا بسهولة.

يجب أن أنجح

صرخت بكل قوتي وعزمي "اكسبكتو باترونام"

دخان ابيض لم يعوقهم إلا قليلا

أتى زوجي فزعا قد سمعني

نظر بذهول للديمنتورات ووقف بينهم وبيني مادا يده يحاول

أن يطلق قوته نحوهم.

تلك القوة التي تتحكم بأشباح الكتب وتؤثر بالأشباح بشدة لا

تعمل كثيرا على الديمنتورات اللعينة

أكملوا طريقهم وهو يصرخ بغضب "كلاااااااااااااااااا."

بدا لي كأنما يده توهجت وخرج منها شيئا اهتزت له الديمنتورات اللعينة,

وتراجعت.

ثم عادت تخترق حاجزه بقوة مرة أخرى

"اكسبكتو باترونام."

أنى لي بالتشبث بفكرة سعيدة والموت يحيط بي من كل جانب.

"اكسبكتو باترونام. لن أسمح لكم بنيلهم أبدا. اكسبكتو باترونام. عودوا لعالم الفناء الذي أتيتم منه. اكسبكتو باترونام."

لا شيء

مجرد دخان يضعف كل حين

أشعر بأفكار سوداء تجتاحني.

يوم ماتت أمي وأنا أصرخ لها سأفعل المستحيل لإنقاذك فتقول لي لا فائدة حتى لو أتينا بحجر الفلاسفة المزعوم فلن ينفعني

أصرخ لها سأحصل عليه لا تموتي

فتقول لي الوداع

"ليلى. أوقفيهم. سأحاول حمل الأطفال بعيدا عنهم. سأحاول طلب النجدة. أوقفيهم."

أفاقتني صرخاته فأسرعت أشهر عصاي مرة أخرى

"اكسبكتو باترونام."

ربما لو خرجنا من القبو المحمي لاستطعنا الفرار بالانتقال الآني لكننا حتى لا نستطيع هذا خاصة وعقولنا مشوشة

يوم مات شقيقي وأنا طفلة. أصابته لعنة جريندل انتقاما من أبي يوم تحول عنه وأيد سليذرين. كان يصرخ من الألم وتلك البثور تحرق جلده وتخترقه لتذيب عظمه

"اكسبكتو باترونام. تبا. اكسبكتو باترونام."

يهتف زوجي صارخا للنجدة وهو يطلق كل البوم الذي عندنا بلا فائدة.

يتناول عصاي ويحاول. لكنه أبدا لم يتدرب على تلك التعويذة المعقدة فلا ينفع بشيء

"اكسبكتو باترونام."

يلقيها ويصرخ وأصرخ من اللوعة وصرخ أخي من الألم صرخة رهيبة اهتزت لها أركان هوجسميد.

"اكسبكتو باترونام."

أفعى سليذرين تحيط بأقاربنا

"اكسبكتو باترونام."

التنين القاتل يحرق أصدقائنا

"اكسبكتو باترونام؟"

الجاثوم يتربص نومنا

"اكسبكتو باترونام."

العمالقة يمزقون شقيقتي

"اكسبكتو باترونام."

المذؤوب يبحث عن أبي

"اكسبكتو باترونام."

جريندل قتل شقيقي

"اكسبكتو باترونام."

الديمنتور يقبل ابني الأكبر وروحه تصعد أمام عيناي الذاهلة وفقدت الإحساس بالوجود.

****

بوابة العدم

أصابني الجنون.
أبنائي تسلب أرواحهم أمام عيني
شاهدت الكثير ممن سلبت الديمنتورات أرواحهم المعنوية
لكني لم أتصور أن يكون العذاب بهذه القوة.
لو كانوا يسلبون أرواح الحياة ويقتلونهم لكان أهون عليّ.
سقطت ليلى فاقدة الوعي بعد ان انهارت روحها القوية
لتعصم من رؤية هذا العذاب
كلمة واحدة قالتها أصابتني في مقتل
"عودوا لعالم الفناء."
لم يعد أمامي حل آخر
بوابة الفناء السوداء
عالم العدم الذي نفى الحداريم له الأرقط وجنده
زعم لي شبح ذلك الكتاب أن الغبار الأبيض هو سبب وجود السحر في عالمنا. إنه الشيء الذي يربط بين أجسادنا وقوى الطبيعة وكلما حصلنا على قدر منه تضاعفت قوتنا.
والأسود هو بوابة عالم الفناء

كل ما يمسه يفقد قدرته السحرية

كل مخلوق سحري يمسه ينقل لعالم العدم

اكتشف جريندل هذا الغبار اللعين ولم يجرؤ على استخدام غير الأبيض

لكن الأربعة جرءوا وأفزعتهم النتيجة

قفزت إلى حيث أخفي كيس النقود ذاك الذي أخفيت فيه حفنة ضئيلة من الغبار الأسود وانتزعته من تحت أكوام القوارير

كانت روح ابني معلقة تكاد تلامس فم الديمنتور اللعين

ألقيت بالكيس بكل قوتي نحوهم

انتشر الغبار وتساقط في المكان وأخذ يتلاشى مع كل شيء سحري مسه

تمزق الوهج المضيء الخارج من فم ابني إلا أن أغلبه عاد له.

وذابت الديمنتورات متلاشية إلى العدم

شعور جارف اجتاح المكان.

كل ما سلبته تلك المخلوقات الشريرة من البشر اندفع كالطوفان مجتاحا كل العقول.

سعادة مهولة!

فرح عظيم!

يفجران رأسي من الألم!

أنا حاكم هذا الكون!

أنا أعظم مخلوق في الوجود!

عظمة مدمرة تمزق عقلي!

بهجة قاتلة!

وسرور مدوي!

تشبثت بنفسي أحاول الصمود قبل أن أفقد الوعي

أنا من سيكون على يده دمار كل شيء!

أنا من سينتزع كل شيء!

أنا من سيكون الأقوى في كل شيء

رغبات مجنونة تجتاحني!

الآن أدركت لم أصاب الجنون كل أتباع الأربعة في المعركة الأخيرة ضد جريندل بروم باستثناء مالفوي.

لم يحتملوا هذا الطوفان من كم الديمنتورات الهائل الذي كان يحمي قلعته.

أفقت لأجد أبنائي صرعى أو يكادون

لن ينجوا من هذا العذاب

زوجتي ملقاة في ركن القبو جوار عصاها

قد دمرت اليوم حياتي التي صنعتها في زمن طويل منذ عثر علي فلامل في سوق العبيد.

دمرت حياتي السحرية.

ودمرها السحر.

يكفي هذا.

لن يكون هناك المزيد بعد اليوم.

حانت لحظة الحسم.

ليكن من وراء هذا العذاب سليذرين او مالفوي أو الحداريم أو بقايا إخوان المجد الجريندليين أو أمراء رومانيا الحقودين.

أيا كان.

سأنهي الأمر وأحسمه!

جمعت بقفاز بقايا الغبار من الأرض بحذر حتى لا يؤذي ليلى.

لو أنني لم أنجح فستحتاج لكل قدرتها السحرية حتى تنجو من الأعداء الذين سأخلقهم لي.

لحسن الحظ أن القليلون يعلمون بزواجنا وأقل القليل منهم يعلمون بنبأ أطفالنا.

خطوت مترنحا خارج القبو وخارج المنزل.

كان الناس ملقون في ذهول وقد أطاح بعقول عدد لا بأس به منهم هذا الطوفان الذي انطلق من شظايا الديمنتورات.

لم انتظر فقد انتقلت آنيا فورا

الهدف بعيد لكني لا أهتم.

سأصل له حتما.

لم أعد كما كنت منذ ساعات.

لقد أدركت أنني وضعت هنا لهدف وأن هذا الهدف أمتلك وحدي القدرة على تحقيقه.

حتما قد سخرني القدر لهذا الأمر.

كانت مدرسة هجوورتس أمامي

وظلام البحيرة خلفي.

الغضب يحرق أحشائي.

ودرعي الملطخ بالسواد على ظهري.

أغلق ماضيي بهلاك زوجتي وأبنائي ولم يعد هناك ما أخسره.

اخترقت القلعة المظلمة من الأنفاق التي أمرتني روينا بحفرها لتكون مهرب من الحداريم إذا أحرقوا القلعة فهاهي تكون منفذا لي.

بوابة العدم ستفتح اليوم على مصارعها! هي مرصودة لي وسأنتزع رصدها.

وهذه سيرتي أتركها خلفي ليعلم الناس جميعا لم فتحت وعلى يد من.

****

القاهرة 1150

أخي العزيز الذي لا يعرفني.

هذه أوراق جمعت من مصادر شتى بعضها من أمنا والبعض استوليت عليه من أحد أشقائنا سرقها من خصومه الكثر والبعض حصلت عليه بعد معارك تفوق الخيال وانكشاف أسرار مذهلة لي.

لو كان الأمر بيدي لأحرقتها لما تحتويه من أسرار تؤذي ناسا كثيرة وتستفز قوى عظيمة. لكنها في يدك بلا قيمة. أنت أصبحت عاميا ساذجا مجنونا ولن تفهم حرفا مما هو مدون هنا! لذا لم أجد مانعا من تنفيذ وصية أمي بعد عشرين عاما بإرسالها لك على الأقل حتى استفزك وأثير غيظك!

شقيقنا الأكبر يكتب بعض المذكرات لا أعرف ما فيها ولا أهتم صراحة لذا وضعت تعويذة سحرية ستنقل ما عنده من أوراق (إن نجا منها شيئا فهو مثلك مجنون ويعيش وسط العمالقة) لتنضم لهذه الرزمة.

يمكنك أن تريح نفسك من القراءة وفك الطلاسم وأخبرك باختصار كان والدك أحمقا وأمك ساذجة عاطفية وكان هناك

أشخاص أقوياء لم يطيقوا حماقة والدك التي تزعم مثالية كاذبة وحكم علينا بالتشتت والمهانة والذل بفضلهم,

اعذرني على حدتي فبعد أن عرفت من أنت وأنك إن تمكنت مني ستطيح برقبتي.

عشت سعيدا يا قاتل السحرة المتعصب!

أخوك الساحر ابن أمك الساحرة وأبوك الذي كان يسمي نفسه سميائي

****

وريقات خفية من مذكرات سليذرين

الورقة الأولى شجار مع المؤسسين

أنفاسي تلهث ونظري معلق في يدي لا أكاد أصدق ما فعلته.

جاءني الأصدقاء الثلاثة هيلجا وروينا و.....جودريك.

جودريك يدرك ما في نفسي قبل أن أقول. هو يدرك ما في نفوس الآخرين عموما . موهبة منحت له يخترق بها قلوب الناس.

لا أخشى إلا جودريك. لو أدرك ما فعلته. أي كارثة تلك التي كاد جشعي يتسبب فيها.

سألني بحزم وقد أحس أن في الأمر شر "ماذا هنالك يا سالازار؟ لا تبدو بخير وقد أضعت دروسك اليوم؟"

رددت بصوت مبحوح "يجب تطهير القلعة."

سألت هيلجا بحذر "ماذا تعني؟"

"يجب طرد أبناء العامة منها. هم ليسوا أهلا للثقة لكي نحضرهم هنا حيث يكونون قريبين من.....حسنا الأمر الذي أقسمنا ألا نشير إليه."

اندفعت روينا بجنون فقد كان أغلب أبناء منزلها منهم "فلا تحنث قسمك إذن. انس هذا الأمر. كف عن الحماقة أيها العجوز المخرف."

رددت بصرامة أخفي بها ما يموج في صدري "لن نُعلّم إلا أبناء السحرة. لو كان مقدر لأبناء العامة أن يكونوا سحرة لولدوا لآباء سحرة!"

قالت هيلجا بصرامتها المتوقعة" لن يحدث يا سليذرين. السحرة يتناقصون يوما بعد الآخر ويزدادون تفتتا وضعفا وأبناء العامة هم الذخيرة التي تحفظنا من الفناء. لقد عاهدنا عهودا في بداية بناء المدرسة ولن نخرقها الآن من أجلك."

أخيرا تكلم جودريك وكنت على حق في الخوف منه. جودريك الشجاع الذي يعلم سيفه مثل لسانه كيف يضرب دوما في مقتل.

قال بهدوء "سالازار. ماذا تعني بأنهم ليسوا أهلا للثقة؟"

أسقط في يدي. وحاولت أن اغلق عقلي أمامه فقد أثار سؤاله ذكريات ما حدث منذ قليل. رددت برد يغضبه لأصرفه عني حتى لا يوقعني في عاقبة جشعي "هم ليسوا أنقياء الدم

فلا يليقون بهجوورتس. يجب أن نطهر القلعة من ذوي الدم الموحل!"

هاج الثلاثة وماجوا لكن عقلي كان في مكان آخر.

كان يعود إلى حجرة الأسرار.

****

الورقة الثانية دماء حجرة الأسرار

أين بيفز؟ هذا الشبح المخلص الهادئ الذي يخدمني منذ زمن بعيد لا أجده في أي مكان؟

بحثت عنه وسألت باق أشباح القلعة وثعابيني العزيزة فلم يعرفوا فأصابني العجب!

تجولت حول القلعة بحثا عنه ثم لأنني مشغول بالإعداد لدروسي الليلية لطلبة منزلي أمرت جن القلعة بالبحث عنه فأخبروني بأنه ليس فيها!

أحدهم قال أنه شاهد شخصا يخاطبه بلسان الثعبان في أحدى الحمامات!

أصابني الفزع. ليس بيفز طبعا من كان يخاطب بلغة الثعبان وإنما بوابة سرية ما.

أتكون هي.....؟

أسرعت نحو حمام الفتيات وأصابني الفزع.

لقد فتح الختم الذي وضعته عليه.

تبا لمن فعل هذا. أيا كان من فعل هذا من أبنائي فسيلقى عقابا مريعا على مغامرته الحمقاء تلك.

كان يجب أن أزيل هذا الثعبان الصغير من الصنبور!

نزلت مسرعا للحجرة وأنا أرجو ألا يكون الفتى قد توجه لأعماقها حيث بوابة السر الأعظم.

ليتني لم ابن حجرة الأسرار تلك. ليتني تركت السر مدفونا بلا منفذ. لكنه جشعي وسعيي الدائم للعظمة والمجد جعلاني أطمع في الحصول على ذاك السلاح الرهيب. سمحت لهلاوس مالفوي وتحذيراته من تلك الشمطاء تربلينا بأن تكون حجة لترك منفذ لبوابة العدم.

تجمدت فزعا فهناك آثار أقدام متجهة نحوها مباشرة!

أسرعت بأقصى سرعة. أبطلت الحماية عن الحجرة وانتقلت آنيا لنهايتها.

وهناك وجدته!

صديقي السيميائي صاحب الأفكار الغريبة المضحكة والعقل البارع والهندسة الحاذقة.

كم تغير!

لم أودعه إلا منذ أسابيع لكن جسده نحل ووجه أسود ونظرة جنون عجيبة تتقافز من وجهه.

سألته بصعوبة "ما الذي أتى بك إلى هنا يا صديقي؟"

ترى؟ أيكون قد عرف بالحقيقة؟ نهيت مالفوي وفلامل بصرامة عن مسه لكنهما ليسوا أطوع الاتباع.

رد بجفاء "أتيت لإنهاء كل شيء."

سألته مندهشا "إنهاء ماذا؟"

"كل شيء بالمعنى الحرفي للكلمة. سأفتح بوابة العدم على مصارعها. سأطلق غبارها الأسود وأنثره في الهواء والماء لأقضي على عالم السحرة بكل شروره."

ضحكت في توتر أذهلني كيف عرف بسر بوابة العدم لكني كتمت هذا بصعوبة وقلت متبسطا "أنت تمزح. لعلك تطمع في المزيد من غبار القوة الأبيض. يا صديقي لا داع لهذا المزاح الخطر."

رد بقسوة "لا أمزح. لقد قتلتم ابني! سأثأر منكم جميعا. لم يأت عالم السحرة إلا بِشر. لقد اختلط بالكفر ويستحيل فصله ولن يأتي إلا بالعذاب والدمار والأوبئة التي تسحق الناس الأبرياء. لا علاج إلا بإنهاء كل شيء. هذا الذي بدأه الغبار الأبيض في بني البشر من آلاف السنين حان الوقت للأسود أن يمحوه وسيمحوه على يدي.

ولن تستطيع منعي يا سلذيرين فلا تقف في وجهي أكره أن أؤذيك!"

لقد جن الرجل! أصابته لعنة ما أو أن فقد ابنه المزعوم هذا حطمه! إنه يسعى لإنهاء عالمنا لصالح العامة. هذا العامي ذو الدم الموحل يرى أن عالم العامة هو الأصل ويجب حمايته منا بالقضاء علينا!

قلت محاولا تهدئته وأنا أحاول السيطرة على نفسي لأنه مسكين فقد ابنه "لسنا جميعا أشرارا. لم تحطم حياة الأبرياء؟"

"لن أحطم حياتهم. لن أنفيهم لعالم العدم كما فعل الحداريين السبعة العظام بجيش الأرقط وأنا حتى لا أعلم كيف. لن أقتل أحدا كما فعل جريندل. ولن أنشر مرض المذؤوب أو

الطاعون القاتل بين الناس كما فعل أنصارك في جرمانيا. فقط سأجرد الجميع من قدرتهم السحرية وأقضي على الديمنتورات وغيرها من قوى الشر وأنهي هذا الصراع الأزلي."

"فقط تجرد الجميع من قدرته! هل تسخر مني؟ اهدأ وراجع نفسك يا صديقي وأؤكد لك أن أحدا من أنصاري لم يقرب أهل جرمانيا."

بدا الإصرار على وجهه وخطى للأمام فاعترضته لاجئا لسلاح الاقناع والخداع "إنما أخشى على صديقي المقرب! إن لم تقتلك الدفاعات العظمى هنا فستحيلك المادة السوداء إلى عدم ما أن تلمسها. لقد نفد الترياق الأبيض فقد سرقته كله"

أجاب ساخرا "حقا أيها الثعبان الأعظم! تنسى أنك تكلم المهندس الذي بنى القلعة! أنت لم تطأ قبل الآن هذا المكان منذ غادرناه بعد انشائه! حين لمحت الجشع في عينيك وضعت ختما بسيطا يخبرني عن دخل أحدهم الغرفة! لكن الأبيض لا يهمني, أنت نفسك تعرف أن الغبار الأسود لا يؤثر علي! بوابة العدم مرصودة لي كي أفتحها وسأفتحها!"

تجاهلني ومضى مرة أخرى نحو بوابة الحجرة فوقفت في طريقه شاهرا عصاي وأنا أقول "على جثتي!."

رفع درعه في وجهي كان سطحه ملطخ بسواد في منتصفه وبدنانير ذهبية مسودة حول حوافه وقال "تعلم ما هذا! لن توقفني."

لم أصدق وصوبت نحو الدرع "أفادا كاديفرا."

امتص الدرع التعويذة دون أثر. لقد سرق منا بعض هذا الغبار ودهن به درعه فلا توجد قوة سحرية على الأرض ولا حتى التنين تستطيع الصمود أمامه.

اتجه نحو البوابة بعزم فانتقلت أنيا لأصبح أمامه وصرخت "كلا!."

أخرج من جيبه زجاجة صغيرة وألقاها أمامي فإذا بنار مريعة تحوط بنا وهو يخترقها بدرعه بأمان.

يبدو أن علومه وصلت شأنا لم أتخيله.

لم يعد هناك إلا حل واحد

لكن لو فعلته فكيف أبرر لجودريك جريفندور؟

"أكسيو سيف جريفندور."

وأتاني السيف العظيم بسرعة مذهلة

السيف الذي صنع نصله من أقوى معدن في الوجود حديد بركان فيزوف المصهور بنار الجن.

وطلي بالغبار الأبيض جوانبه ليمتلك قوة ضد أي شر.

وطلي بالأسود ذبابته لتخترق أي درع سحري.

لو اكتفيت بجرح السيميائي فسيعود ليطاردني ولعله يخبر الثلاثة بأنني تركت منفذا للسر الأعظم.

لم أجد إلا طعنه في مقتل منفذا للهرب بجرائمي

طعنه

وثانية

وثالثة

وسقط مضرجا في دمائه.

كان نظره معلق ببيفز شبحي المفضل.

مد يده له كأنما يمنحه شيء ما.

وفاضت روحه.

****

الورقة الثالثة الرحيل

ثار الثلاثة ضدي ثورة عارمة.

لم يصدقوا أنني انضممت لأتباع الدم النقي.

ولم يكن أمامي حل آخر. يجب أن أتشبث بهذا الزعم لكي أغطي على ما فعلته.

كان أمامي كوارث أخرى علي معالجتها.

ما فعله في بيفز أمر غريب.

لقد تحول من شبح عادي إلى شبح صاخب تلك الأشباح التي تمتلك القدرة على تحريك الأشياء

ومن شبح هادئ إلى شبح مشاغب

أي سحر عجيب هذا.

والأدهى أن بيفز يعلم الآن أكثر مما يجب

لم أفقد السيطرة عليه فحسب وإنما أصبح يعلم بأمر حجرة الأسرار والسر الأعظم وجريمتي التي ارتكبتها في الحجرة.

يجب ألا يخبر بيفز أحدا بالأمر ولا أعلم كيف.

لم يكن هناك سوى شخص واحد أثق فيه وأظنه يدعمني.

أتاني مالفوي مستبشرا يعرض علي زعامة حركة نقاء الدم قال بسعادة "سيعرفها التاريخ بأنها حركة سليذرين وتنسب لك وحدك فقبلك كنا أصواتا خافتة تعمل في الخفاء. ارحل عن هذه المدرسة اللعينة وانضم لنا. بإشارة مني سيقتل ابن

خالتي جاليوس فلامل تلك اللعينة الشمطاء تربلينا ويصبح جيشها رهن يديك!"

قلت بتوتر "هل تعلم من هي زوجة السيميائي العربي."

كان يخفي عني أمر ما. اقسم على هذا. كان يتنافس مع السيميائي على حب ليلى فلامل لكنها هجرت كلاهما وذهبت لآسيا الوسطى بحثا عن حجر الفلاسفة. لذا ظننته خير من يكرهه ويساعدني

"لماذا تسأل سالازار سليذرين العظيم؟"

"لقد قتلته!"

نظر لي مذهولا وقال "ماذا ؟"

"أنت لا تعلم قدر ما أعلم أنا وهو عن هجوورتس. لقد أراد أن يطلق رعبا من حجرة الأسرار يدمر كل شيء."

"حجرة الأسرار؟"

"أخبرك بها الآن لتساعدني على محو أثر القتيل. بنى لي سرا حجرة الأسرار. وهي تحوي رعبا لا أريده أن يطلق إلا بأمري. أتذكر حين حذرتني منه؟ وحين حذرتني من أن تربلينا تستخدمه للوصول لسلاح هائل؟ لا تدعي السذاجة!"

قال متهللا "ستستخدم السلاح العظيم لطرد العامة؟"

يجب أن أجاري الرجل في أحلامه فهذه خير طريقة لتنطلي عليه أكاذيبي.

"نعم. في الوقت المناسب بعد أن تذوي روح جريفندور."

"وهو حاول افساد الأمر؟ هذا السيميائي؟"

"ذو دم موحل فماذا تنتظر منه؟ لكنه كان عليما بالسحر الأسود فوق ما أتصور. لعله سحر الفراعين. لقد وضع جزءا من روحه في بيفز ولو وصل بيفز خلال مائتي عام إلى أحد من سلالته فسيخبره بكل شيء ويضيع جهدي سدى ويتلوث اسمي عبر التاريخ بجريمة قتله. وسيثور علي جريفندور فوق ما استطيع وانا الآن عجوز في أرذل العمر. يجب أن أعلم من أبناءه وأقضي عليهم."

تكلم ببطء "سأرى ما أستطيعه. لكن..... لم لا تتخلص من بيفز؟"

"وكيف أتخلص من شبح؟"

"أتذكر اسطورة الملك شاه باناد. ذلك الساحر الهندي الذي قتل أخاه واستولى على ملكه فطارده شبح الأخ؟ أتى بباسيلك حول الشبح لحجر ثم حطم الحجر بتعويذة معينة قضت عليه."

فكرت في الأمر. طبعا لا أعلم تلك التعويذة ولا أرغب أصلا في القضاء على بيفز الخادم المخلص لكن الباسيلك فكرة جيدة ليكون حارسا ابديا لحجرة الأسرار يدمر من يقترب منها. أما بيفز فسألعنه لكي لا يغادر أبدا تلك القلعة وسأمنح للبارون الدامي ما يطلبه من سلطة على أشباح بيتي مقابل أن يسيطر على هذا الشبح للأبد

قلت لمالفوي "سأنظر في الأمر. عيك أن تكتم ما دار بيننا وخاصة عن حجرة الأسرار وتقسم عهدا لا ينقض على الكتمان. والأهم أن تبحث لي عن زوجة هذا الموحل الدم وأبناءه."

رد في خفوت "سأرى ما يمكن فعله."

وأعددت بعدها العدة للرحيل عن قلعتي الحبيبة للأبد

أكره هذا لكنها الوسيلة الوحيدة للحفاظ على القلعة دون أن تتمزق بيننا أو اضطر للاعتراف بأفعالي.

لكنني لن أرحل حتى أطمئن أن زوجة وأبناء هذا المأفون قد قضي عليهم.

****

النـهاية

أشعر أن ساعتي قد حانت.
منذ أيام حطم جولاك العملاق درعي. الشيء الوحيد الذي ورثته عن والدي وأحسست أن شيء ما فقد مني.
بدا لي هذا إشارة لنـهاية عمري المديد.
لا أذكر الكثير عن والدي. كانت أمي تمدحه كثيرا وتحكي لي كيف أصبنا أنا وأخوتي بلعنة قاتلة وهاجمتني الديمنتورات تبغي روحي
أذكر القليل من هذه الصورة
لكن أمي فقدت وعيها واستيقظت لتجدنا نجونا وأن أبي أنقذنا من الديمنتورات ومن لعنة الطاعون السحري بطريقة مجهولة ثم ذهب لينتقم لنا.
أتاها مساعد سليذرين العظيم وهو من مؤسسي مدرسة هجوورتس المعروفة التي يقال أن لأبي دور ما في بنائها لكن سليذرين طمسه
كان اسم هذا المساعد مالفوي وكان يحب امي في شبابه فأخبرها أن أبي أراد قتل سليذرين لكنه انتصر عليه وقتله.

كانت أمي تشك دوما في سليذرين وصدق ظنها.

لكن الكارثة أن الحقير يبحث عن أمي وأخوتي.

حذرها مالفوي من أن الاحتفاظ بأبنائها في مكان واحد سيسهل مهمة قاتل أبي في البحث عنا.

كانت أمي تموت ببطء

كانت حبلى في أخي الرابع ولم تكن تعلم ودخلت في صراعات مريرة وعذابات لا تنتهي وهي تنتقل معنا من بلد لبلد وأتباع سليذرين يطاردونها والشرير يحرضهم عليها زاعما أنها تدعو للاختلاط مع العامة

عندما أنجبت ابنها الأخير أدركت أنها تموت فوزعتنا بين البلاد حتى لا يشعر سليذرين بدماء أبي فينا.

لكنها أخطأت كثيرا

أخي الأوسط (عويس بن سهم) أرسلته لروما ليتبع أحد الحداريين الأواخر يدعى ألبرتيوس الذي يعمل مهرجا عند أحد الدوقات

عويس الذي عرف بعدها باسم هاوز ألبرتيوس كان يشعر بحقد كبير لما أصاب أبينا وهي أرسلته في مكان يؤجج هذا الحقد.

كما أنه بطريقة غامضة فقد كل قدراته السحرية!

عشت حتى رأيت سلالته تتناقل الحقد حتى أشعلوا ثورة سارقي الظلال.

أما أنا فأرسلتني لخالتي في فرنسا

لكني لم أحتمل حياة السحرة المخادعة

ولا حياة العامة المتعصبة.

رحلت إلى الجبال وقابلت عددا من العمالقة يعرفون أبي فعشت بينهم.

أما أخي الأصغر (مهران) الذي كان فقد سحره وعقله بجنون غريب محا ذاكرته تماما فأرسلته لأهل أبي في مصر فانقطعت عني أخباره إلا أنني شعرت بدمائه في بعض من قابلتهم بعدها بمائتي عام لكني لا أستطيع أن أتيقن.

أخي الرضيع أخذه جدي فلامل ونسبه لنفسه ولم أره إلا حينما اجتمع عليه أقاربي يريدون نهب ميراثه

حينها أتيتهم ومعي ثمانية من العمالقة.

نظروا لي برعب فأظهرت لهم حقوق أخي.

سألني أحدهم من أنت فرددت "أنا الديب مهاجر بن الباحث سهم بن أبي صالح المكسي"

"وماذا تريد يا يا....."

رد عليه أحد العمالقة بلسانه المتكسر "مهجرد زعيم عمالقة"

"حسنا سيد هاجريد. ما شأنك بالميراث."

"أنا ابن عم له. ولو جادلتني فسيرد عليك سيفي."

سلموا لأخي ميرثه كارهين فأتاني يسألني وعلم مني قصتنا.

وانتبه أكثر ما انتبه لحجر الفلاسفة الذي بحثت عنه أمي وكان مقتنعا أن أبينا عثر على واحد فأنقذنا به من الطاعون

أكمل أخي ميكائيل فلامل عمل أمي وأبحاثها

ووصل لحل المعضلة طريقة المعرفة جزء من الصناعة

فكيف نورثها لأبناءنا ليكملوا على أعمالنا؟

أشرك اصغر ابناءه في بحوثه

وهذا أشرك أصغر أبناءه

حتى بعد مئات الأعوام أتمم آل فلامل مسيرة أمي نحو الخلود وصنع نيكولاس فلامل الحجر الوحيد المعروف.

لا أدري كيف وصل أبي لسر الخلود أو الحجر.

لكنه تسبب بطريقة ما في أن أعمر مئات الأعوام

عشت قويا لا أشيخ في حرب دائمة وسط العمالقة

ورأيت ذريتي تنتشر وكل منها يحمل اسما من اسمائي العديدة

من عاشوا بين العرب تسموا بني مهاجر

البعض تسمى بالباحث

والبعض بدايب بدلا من ديب

والبعض بمكسيم بدلا من المكسي

والبعض بلقب العمالقة المضحك مهجرد

والبعض بنطقه الذي قاله السحرة هاجريد

وبعضهم عاش مثلي مختلطا بالعمالقة بل ويتزوج منهم.

عشت حتى رأيت كل هؤلاء

لكن حينما حطم جولاك بهراوته درعي ومزق تلك الدنانير القديمة شعرت أنني فقدت جزءا من روحي.

وأنني سأموت قريبا.

لكنني مت راضيا.

كما أظن أن والدي فعل.

كالعادة حيره بكلمات غير مفهومة, تتنازع الشائعات أمر هذا المنقذ الغامض الذي أنجد المدينة بعدما أعجز طاعونها الحكماء. البعض يقول ولي والبعض يقول مآخ للجن. والهذر كثير. لكن لا يقلقه سوى شيء واحد, كم تتطول وقفته على رأس سرير هذا الغلام سهم ابن عامر البناء يفكر لساعات.

ولكن السميائي لم يكن يلقي بالا للاشاعات ولا لحيرة الحكيم.

فقط العلامات هي ما تثير فزعه

مبتسم؟

يا لهذا الغلام!

ويا لهول ما سيرى!